Metonymy in the Rhetorica inheritance Analytical deliberative approach

Dr. Buthaina Suleiman*

(Received 27 / 2 / 2022. Accepted 14 / 8 / 2022)

□ ABSTRACT □

Pragmatics is one of the most important, newest and most active topics of modern linguistics.

It has gained its characteristic from the fact that it studies the relationship of language to use in the actual conversational setting with its cultural, social, temporal and spatial components. Therefore, the purpose of the pragmatic study was to search for the intentions of the speakers in the linguistic message, those intentions that may be implicit and are not taken in the apparent literal sense, and access to them needs significant contextual evidences, which linguistics extracted when controlling the concepts of pragmatics and its foundations.

The metonymy is one of the most rhetorical phenomena related to situations of communication, whether social or literary, as a rhetorical or pictorial method indicative of implicit intentions; It is interpreted by evidences of the necessary or adjacent context, and requires cooperation between the speaker and the listener. Hence, the aim of this research was to read the metonymy from a pragmatic approach.

Keywords: rhetoric, metonymy, pragmatics, meaning of meaning, purposes.

* **Associate Professor, Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

الكناية في التراث البلاغي
مقاربة تداوليّة تحليليّة

د. بثينة سليمان*

(تاريخ الإيداع 27 / 2 / 2022. قبل للنشر في 14 / 8 / 2022)

□ ملخّص □

تعدّ التداوليّة من أهمّ موضوعات علم اللغة الحديث وأحدثها وأكثرها نشاطاً، وقد اكتسبت خاصيّتها من كونها تدرس علاقة اللغة بالاستخدام في المقام التخاطبيّ الفعليّ بمكوّناته الثقافيّة والاجتماعيّة والزمانيّة والمكانيّة. لذلك كان هدف الدرس التداوليّ البحث عن مقاصد المتكلّمين في الرسالة اللغويّة، تلك المقاصد التي قد تكون مُضمرةً لا تؤخذ بالمعنى الحرفيّ الظاهر، ويحتاج الوصول إليها إلى قرائن سياقيّة دالّة، قام علم اللغة باستخلاصها عندما ضبط مفاهيم التداوليّة وأُسسَها.

وتعدّ الكناية من أكثر الظواهر البلاغيّة صلةً بمواقف التخاطب سواء الاجتماعيّ أو الأدبيّ، بوصفها أسلوباً تصويريّاً بلاغياً دالّاً على مقاصد مُضمرة؛ تؤوّل بقرائن السياق اللازم أو المجاور، وتحتاج إلى تعاونٍ بين المتكلّم والسامع. ومن هنا كانت وجهة هذا البحث أن يقرأ الكناية من مدخلٍ تداوليّ.

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة، الكناية، التداوليّة، معنى المعنى، المقاصد.

* **أستاذ مساعد ، كليّة الآداب، قسم اللغة العربيّة، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.**

مقدّمة

من أساطير نشأة البلاغة أسطورةٌ ترجع ميلادَ البلاغة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، تقول: في ذلك العصر منع هيرّون المستبدّ رعيّته من استخدام الكلام، فاخترعوا البلاغة[1]؛ أي منعهم من التعبير فاخترعوا المجاز، منعهم من التصريح فاخترعوا التلميح والإشارة والرمز والكناية. والكناية أوسع فنون الكلام استيعاباً للمقاصد المرمّزة، تعتمدُ التزامَ المتكلّم والمخاطَب بالمبدأ التعاونيّ وضوابطه، ومراعاة العلاقات التفاعليّة القائمة بين التلفّظ بها والعالم الخارجيّ أو الوسط الاستعماليّ. ومن الصعب ضبط الصياغة اللغويّة في الاستعمال وتقعيدها تقعيداً صارماً، فالاستعمال خاضعٌ لما لا حصر له من الظروف والملابسات التي يتشكّل الكلام بتأثيرٍ منها بأشكال جديدة باستمرار .

تردّدت كلمة بلاغة في الثقافة الغربيّة بين ثلاثة مفاهيم كبرى: مفهوم يهتمّ بالمحاجَجة والإقناع وهو المفهوم الأرسطيّ، الذي يجعل البلاغة أقرب إلى "الخطابية". ومفهوم يهتمّ بحسن التعبير وفنون القول وهو المفهوم الأدبيّ، الذي ويجعل البلاغة أقرب إلى "الشعريّة". ومفهوم ثالث يجعل البلاغة علماً أعلى يشمل التخييل والحجاج معاً [2]. ويعد المفهوم الثالث من ملازمات فنّ الكناية .

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الأبعادِ التداوليّة التي تركّز في التفاعل التخطابيّ وآليات التواصل في أسلوب الكناية بوصفه أكثر أساليب البيان واقعيّة، وأشدّها ارتباطاً بمقام التخاطُب وسياق الحال؛ وبوصفه أسلوباً ينتمي إلى الحجاج والتخييل معاً؛ يلجأ إليه المتكلّم لإخفاء قصده، ويوجّه المتلقّي إلى تأويل المضمر، ورصد الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، وإثبات الفعل التأثيريّ بفضل التركيب التخييليّ.

أسباب اختيار البحث :

لقد اختيرت (الكناية في التراث البلاغيّ مقاربة تداوليّة تحليليّة) من بعد الاطّلاع على دراسات قاربت ظواهر بلاغيّة تداوليّاً، غير أنّ الكناية لم تحظَ بالاهتمام الكافي، على الرغم من كونها أقرب الأساليب البلاغيّة إلى التداوليّة، فكان لابدّ من تخصيص دراسة تنصف الكناية تداوليّاً .

الدراسات السابقة:

حظيت المقاربات التداوليّة لقضايا التراث النقديّ والبلاغيّ في الوقت الحاضر باهتمام واضحٍ لدى الدارسين؛ غير أنّ مقاربات أسلوب الكناية كانت نادرة؛ جاء جلّها على هيئة بحوثٍ منشورة في مجلّات محكّمة، منها:

1. الأبعاد التداوليّة للكناية في المنظومة البلاغيّة العربيّة: د. كاده ليلى، جامعة بسكرة، الجزائر، مجلّة فصل الخطاب؛ جامعة ابن خلدون . تيارت ،الجزائر، 2014م. مدار هذا العمل الاشتغال على العدول عن التصريح في المقامات التخاطبيّة، وهذا ما جعل طابعه يتّسم بالعموميّة التي ستتجاوزها هذه الدراسة.

2. اشتغال التداوليّة في المجاز والكناية : د.عبد الفتّاح رمضان، كليّة الآداب جامعة المنوفيّة، مجلّة كلية التربية جامعة المنصورة، عدد يوليو 2015م. اختصر الباحث فيه اشتغال التداوليّة في التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل، ثمّ تناول

---

[1]. عيّاشي، منذر: *مقالات في الأسلوبيّة*: منشورت اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1990م، ص180. ويُنظر له: *البلاغة العربيّة . إعادة نظر في النشأة والتطوّر*، مجلة علامات في النقد ، العدد78، ربيع الآخر 1435هـ . فبراير 2014م، 10.

[2]. ينظر: العمري، محمّد:*البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول*، أفريقيا الشرق 2012م، ط2، 11. 12.

الكنايةَ بوصفها ألفاظاً لا تُطلق لذاتها. وسلط الباحث اهتمامَه على المعنى المجازي الذي تؤدّيه هذه الأساليب من دون تأصيل لمفاهيم التداوليّة في الكناية بوصفها فنّاً ومفهوماً أصيلاً.

3. الكناية، هروب من اللغة، هروب من الذات، هروب من الآخر: د. بلقاسم حمام . مجلّة الأثر. مجلّة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر. درس فيه الكناية بوصفها أسلوباً فنيّاً له أثر في إنشاء عالم خاصّ بالمبدع ، كمطالع الغزل وكنايات الصوفيّة. واهتمّ الباحث بالكنايات الاجتماعيّة لا الأدبيّة، ولم يؤصّل لها في التراث البلاغيّ.

منهج البحث:

يتّخذ هذا البحث من المنهج الوصفيّ أساساً له؛ إذ يقوم على تتبّع مفاهيم تداوليّة تمّت ملاحظتها في أسلوب الكناية في الاستعمالين الأدبيّ والاجتماعيّ، ويرصد خصائص الكناية بوصفها أسلوباً بلاغيّاً تداوليّاً، ويصف هذه الخصائص في جهود بلاغيين قدماء قدّموا مادّة علميّة جديرة بالاهتمام، ثمّ يعرض ما توصّل إليه بمقاربة تحليليّة تداوليّة مناسبة، يقف من خلالها على استنتاج أهمّ نقاط التقاطع الممكنة.

1. البلاغة والتداوليّة

أولاً . لمحة عن التداوليّة وأسسها:

التداوليّة (pragmatiquela) أوالتداوليّات (Praqmatics) تُعرف بأنّها علمٌ موضوعُه طريقة استخدام اللغة من قِبَل أهلها للتعبير عن مقاصدهم، وتقيُّد كلّ من المتكلّم والسامع بالسياق اللغويّ، وغير اللغويّ، لإنجاح عمليّة التواصل. وقد وُصفت بأنّها دراسةُ هيمنةِ المقام على معنى الكلام. وترجمها آخرون بالسياقيّة والمقاميّة وعلم المقاصد. وتتلخّص مهامّ التداوليّة في دراسة "استعمال اللغة"، التي لا تدرس "البنية اللغويّة" ذاتها، ولكن تدرسها عند استعمالها في الطبقات المقاميّة المختلفة؛ أي باعتبارها "كلاماً محدّداً"، صادراً من "متكلّم محدّد"، وموجّهاً إلى "مخاطب محدّد"، في "مقامٍ تواصليّ محدّد"، لتحقيق "غرض تواصليّ محدّد". [3]

ومن **أبرز المفاهيم التداوليّة:** متضمّنات القول، والاستلزام الحواريّ، ونظريّة الملاءمة، والفعل الكلاميّ.[4]

المفهوم الأوّل: متضمّنات القول (Les Implicites):[5]

يعني هذا المفهوم رصدَ جملةٍ من الظواهر المتعلّقة بجوانب ضمنيّة وخفيّة من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامّة كسياق الحال وغيره. ومن أهمّ هذه الظواهر:

---

[3] **ينظر : . صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التراث اللسانيّ العربيّ)*، دار الطليعة ، بيروت، ط1، 2005م. 30 وما بعدها**

بن عيسى، عبد الحليم: *المرجعيّة اللغويّة في النظريّة التداوليّة*، مجلّة دراسات أدبيّة، دوريّة فصليّة محكّمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليميّة، ع1، الجزائر، ماي 2008م، 10 .

. بن عيسى، عبد الحليم: *مصطلح التداوليّة في الدراسات العربيّة المعاصرة بين التلقّي والتأسيس . قراءة تحليليّة*، جامعة أحمد بن بلّة وهران . الجزائر . الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، العدد 20، جوان 2018م، 3. 10 .

. حسني، نور الهدى. لهويمل، باديس: *مداخل اللسانيّات التداوليّة في الخطاب البلاغيّ العربيّ متابعة تداوليّة*، جامعة بسكرة، مجلّة العمدة في اللسانيّات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، 2017م، 42 وما بعدها.

[4] **. ينظر: صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*، 30 وما بعدها.**

[5] **. ينظر: المرجع السابق، 30.**

1. الافتراض المُسبق: في كلّ تواصل لسانيّ ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترَف بها ومتّفق عليها. تشكّل هذه الافتراضات الخلفيّة التواصليّة الضروريّة، وهي محتواة في البنى التركيبيّة العامّة وتحدَّد على أساس المعطى اللغويّ؛ ففي الملفوظين: **أَغلق النافذة . لا تغلق النافذة.** خلفيةُ افتراض مسبق مضمونها أنّ النافذة مفتوحة.

2. الأقوال المُضمرة: ترتبط بوضعيّة الخطاب ومقامه، ومثال ذلك أنّ الملفوظ : "**إنّ السماءَ ممطرة**"، ينفتحُ على قائمةٍ من التأويلات مع تعدّد السياقات والطبقات المقاميّة التي يُنجز ضمنها. فقد يؤوّل بأنّ القائل أراد أن يدعوَ السامع إلى: المكوثِ في بيته، أو الإسراعِ إلى عمله حتّى لا يفوته الموعد، أو الانتظار والتريث حتّى يتوقّف المطر، أو عدم نسيان مظلّته عند الخروج. ويحدّد سياقُ التخاطب واحداً منها.

المفهوم الثاني: الاستلزام الحواريّ (أو المحادثيّ) L,implicationconversationnelle:[6]

فقد لاحظ غرايس أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل مهمّته إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يُقصد، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظيّة، وما يقصد هو ما يريد المتكلّم أن يبلّغه إلى السامع على نحو غير صريح، اعتماداً على أنّ السامعَ قادر على أن يصلَ إلى مُراد المتكلّم بما يُتاح له من أعرافِ الاستعمال ووسائل الاستدلال. ويتّضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و(ب):

. الأستاذ (أ): **هل الطالب (ج) مستعدّ لمتابعة دراسته الجامعيّة في قسم الفلسفة ؟**

. الأستاذ(ب): **إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.**

لاحظ غرايس أنّنا إذا تأملنا الحمولة الدلاليّة لإجابة الأستاذ (ب) وجدنا أنّها تدلّ على معنيين اثنين في الوقت نفسِه، أحدهما حرفيّ والآخر مستلزَم. معناها الحرفيّ أنّ الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين، ومعناها الاستلزاميّ أنّ الطالب المذكور ليس مستعدّاً لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة. **وهي عبارة يقتضيها السياق الذي يجري فيه التخاطب .** وارتهان الاستعمال اللغويّ بالسياق جعل وظيفة الدرس التداوليّ تقتضي البحث في **القصد.** فتُعنى ببيان كيفيّة **تأويل** مستعملي اللغة لتلك الخطابات، **وتعالج بقيّة الأنساق غير اللغويّة التي تسهم في إنتاجيّة الفعل الكلاميّ وتأويله،** كالأنساق الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة ... إلخ.

. المفهوم الثالث: نظريّة الملاءمة Theorie de pertinence:[7]

يعدّ مبدأ الملاءمة تعميماً للتواصل الموصوف بـ "المناسب الاستدلاليّ"، فهو **مناسب؛** لأنّ المتكلم يستعمل " **المثير**" الأكثر ملاءمةً لإبلاغ افتراضاته، وهو **استدلاليّ؛** لأنّ المتلقّي يستدلّ على القصد الإخباريّ، انطلاقاً من المؤشّرات المسوقة من قبل المتكلّم. وهي نظريّة تفسّر الملفوظات وظواهرها البنيويّة في الطبقات المقاميّة المختلفة.

. المفهوم الرابع: الفعل الكلاميّ Speech act: (أو نظريّة أفعال الكلام)[8]

يعدّ الفعل الكلاميّ نواةً مركزيّة في كثير من الأعمال التداوليّة. وفحواه أنّ كلَّ ملفوظٍ ينهض على نظام شكليّ دلاليّ إنجازيّ تأثيريّ، على النحو الآتي:

[6] . **ينظر: المرجع السابق، 33.**

[7] . **ينظر : المرجع السابق، 36.**

[8] . **ينظر : المرجع السابق، 40.**

أ . فعل القول (أو الفعل اللغويّ): ويراد به إطلاق الألفاظ في جُملٍ ذات بناءٍ نحويّ سليم دالّ، ويتشكّل من جوانب صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة ودلاليّة، وهذا التلفّظ هو النشاط الرئيس الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداوليّ، لكونه ينتقل باللغة من وجودٍ بالقوّة في ذهن صاحبها إلى وجودٍ بالفعل من خلال الممارسة الفعليّة، وعلى أساس هذه الممارسة يتحدّد القصد.

ب . الفعل المتضمَّن في القول: وهو الفعل الإنجازيّ؛ إذ "إنّه عملٌ يُنْجَزُ بقول ما"، يشمل الجانب التبليغيّ أو التطبيقيّ، ومجاله المقاصد التي يريد المتكلّم إيصالها بفعله القوليّ إلى المخاطب، من إثباتٍ أو نفي، من وعدٍ أو وعيد، أو اعتذار أو شكر أو نهي أو ... إلخ

ج . الفعل الناتج عن القول: وهو الفعل التأثيريّ، أو الاستلزاميّ، وميدانه المخاطَب، وهو ما تحدثه الرسالة المبلّغة له من آثار معيّنة في الواقع، كالتخويف ،والإقناع، والتضليل، والإرشاد، وحمله على سلوك معيّن أو صرفه عنه.

ثانياً . الصلة بين البلاغة والتداوليّة:

يرى (جيفري ليتش) أنّ البلاغة تداوليّة في صميمها؛ بوصفها ممارسة الاتّصال بين المتكلّم والسامع، تعتمد اللغة أداة لممارسة الفعل على المتلقّي؛ وتنظر إلى النصّ اللغويّ في جملته بوصفه نصّاً في موقفٍ. [9] ويرى (هنريش بليت) أنّ "سبب هذه النهضة البلاغيّة يرجع في مجال التنظير إلى الأهمّية المتزايدة للسانيات التداوليّة" [10]، وقد أصبحت البلاغة من منظور الدرس الحديث "الأفق المنشود والملتَقى الضروريّ للتداوليّة وعلم النصّ" [11]، على ما يرى صلاح فضل.

وتلتقي البلاغة مع التداوليّة في "دراسة الوسائل اللغويّة التي يستعملها المتكلّم في عمليّة التواصل وعوامل المقام المؤثّرة في اختياره أدوات معيّنة دون أخرى للتعبير عن قصده، كالعلاقة بين الكلامِ وسياق الحال، وأثر العلاقة بين المتكلّم والمخاطَب على الكلام والمقاصد من الكلام "[12].

وفي الرجوع إلى النموذج الذي وضعه جاكوبسون لأركان عملية الاتّصال عَونٌ للدارس على فهم المقصود بتداوليّة البلاغة؛ إذ من الممكن تحديدها بأنّها عمل المتكلّم على إيصال الشفرة إلى السامع بوساطة رسالةٍ منطوقة خلال قناة اتّصال مسموعة في مقامٍ معيّن، إضافةً إلى جهد السامع في حلّ الشفرة. مع مراعاة أنّ السياق عند جاكوبسون يعادل المقام، والرسالة تعادل النصّ أو العبارة، وقناة الاتّصال تعادل المشافهة، والشفرة توازي المعنى المقصود المُضمر[13].

ويمكن تتبُّع الصلة بين التداوليّة والبلاغة على نحوٍ أدقّ، من خلال قراءة أهمّ مفاهيم البلاغة العربيّة على النحو الآتي:

---

[9]. ينظر: فضل، صلاح: *بلاغة الخطاب وعلم النصّ*، دار المعرفة، مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتب ، ط1، 1994م، 97. 98 .

[10]. بليت، هنريش: *البلاغة والأسلوبيّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ* ، ترجمة محمّد العمري، أفريقيا الشرق، 1999م، 22.

[11]. بلاغة الخطاب وعلم النصّ : 251.

[12]. براون، جيليان . يول، جورج: *تحليل الخطاب* ، ترجمة محمّد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة السعوديّة، 1997م، 32..

[13]. حسّان، تمّام: *المصطلح البلاغيّ القديم في ضوء البلاغة الحديثة*، مجلّة فصول، المجلّد السابع، العددان الثالث والرابع ، أبريل . سبتمبر 1987م / قضايا المصطلح الأدبيّ / 27

1. ملامح التداوليّة في تعريفات البلاغة العربيّة:

إنّ أولى ملامح التداوليّة نجدها في المعنى اللغويّ لمادّة (بلغ): " بَلَغَ الشَّيء يَبْلُغُ بُلُوغًا وبَلاغًا: وَصَلَ وَانْتَهى،... والبَلاغُ: الْكِفايَةُ،... وَالْبَلاغَةُ: الْفَصاحَةُ."[14]، وسمّيت البلاغةُ بلاغةً لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع.

أمّا على صعيد التعريف البلاغيّ؛ فإنّ البعد التداوليّ في البلاغة العربيّة يظهر في تعريفات البلاغة لدى البلاغيّين، وعلى رأسها التعريفات التي أوردها **الجاحظ** (255هـ)، فهي تشترك في ضرورة صياغةِ الأقوال أو أفعال التكلّم في ضوء المقامات التي تضمّها [15].

وفي تعريف **السكاكيّ (ت 626هـ)** : "البلاغة هي بلوغ المتكلّم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، ولها، أعني البلاغة، طرفان: أعلى وأسفل ... وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر" [16]. نجد في قوله هذا من مظاهر تداوليّة:

المتكلم: فهو منتج الخطاب والمتلفّظ به، ووجب عليه أن يوفّي خواصّ التراكيب حقّها، حقيقية كانت أو مجازيّة، بغية أن يحقّق عمليّة الفهم والإفهام .

التلقّي أو الأثر: وهو نتيجة طبيعية عن السبب السابق، فتتحقّق عمليّة التواصل، والإفهام.

للبلاغة طرفان أو مستويان أعلى وأسفل، أو بلاغة عُليا تبلغ حدّ الإعجاز، وبلاغة دُنيا لا تبلغ حدّ الإعجاز، وبينهما بلاغات إبداعيّة متفاوتة، وذلك بحسب مستوى توظيف أدوات التعبير والبلاغة بما يناسب مقتضى الحال، فلكلّ مقامٍ مقال.

ويمكن استنتاج ملمحَين تداوليّين في هذه التعريفات، هما ملمح تواصليّ يُعنى بالإبلاغ وغايته الإقناع، وملمح فنّي يعنى بالحُسن وغايته التأثير والإمتاع، ووسيلته التخييل والغموض.

ثمّ إنّ مفهوم (الإبلاغ) الذي تركز عليه تعريفات البلاغة، يشير إلى كيفيّة التأثير في السامع، وهو من أساسيّات التداوليّة؛ إذ يعالج " درجات التفاعل الاتّصاليّ بين المخاطِب والمخاطَب وشدّة التأثير وقوّته، التي تتمّ بالأفعال الكلاميّة الموظفة في الخطاب " [17].

2ـ السياق:

من مفردات البلاغة العربيّة مبدأ مراعاة مقتضى الحال، ومقولة لكلّ مقامٍ مقال، التي تشكّل نقاط التقاء واضحة مع التداوليّة؛ ففي التداوليّة يعدُّ فعلُ التلفظ /المقال/ في سياقٍ ما مبتدأ التواصل وتفاعل الآليّات التداوليّة، فالمقال في البلاغة العربيّة والتركيب اللغويّ المُنجز في التداوليّة، كلاهما مكرّس لإنتاج المعنى والدلالة في لحظة الوجود بالفعل التي تعدّ لحظة التواصل. وفي التداولية تدلّ كلمة سياق على المقام، أو الظروف والمعطيات الخارجيّة التي تقع المحيط اللسانيّ الفعليّ المرتبطة بالحدث الكلاميّ، المؤثّرة في بنيته التركيبيّة.

---

[14]. ابن منظور: *لسان العرب*، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشاذلي، ط3، دار المعارف، بلغ 1/ 345 . 346.

[15]. ينظر: الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *البيان والتبيين*، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1985م، 1/ 96ـ 97.

[16]. السكّاكيّ، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، 526.

[17]. حسني، نور الهدى. لهويمل، باديس: *مداخل اللسانيّات التداوليّة في الخطاب البلاغيّ العربيّ متابعة تداوليّة*: 45.

وتلتزم **تعريفات** البلاغة العربيّة بأهمّية السياق، فبلاغة الكلام عند **الخطيب القزوينيّ (ت 739هـ)** هي "مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلفٌ، فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، ... وكذا لكلّ كلمةٍ مع صاحبتها مقام"[18]، فعلى البليغ أن يراعي في صوغ كلامه طبيعةَ المخاطَب والظرف المحيط بالخطاب، والأسلوب التعبيريّ وفقاً للمتغيّرات عند تفاوت المقامات ومستويات المتكلّمين. والبلاغة . كالتداوليّة . تُعنى بتحديد السياق ومكوّناته، فتهتمّ بأقطاب العمليّة التواصليّة؛ وتهتمّ بالظروف والأحوال الخارجيّة المحيطة بالعمليّة التواصليّة، كالغرض والزمان والمكان والمتكلّم والمخاطب والحاضرين أو السامعين؛ فتضمن التوصّل إلى غرض المتكلّم وقصده، وفكرة مُقتضى الحال أو مراعاة حال المتلقّين ما هي إلّا صورة لما تنشده التداوليّة، وبهذا المفهوم ارتبطت التداوليّة بمفهوم السياق؛ لأنّها تُعنى بدراسة العلاقة بين النصّ والسياق [19].

3 . معنى المعنى:

تتماز الظواهر البلاغيّة بتضمّنها إيحاءات ودلالات إضافيّة متجاوزةً المعنى الظاهر إلى معنى المعنى، وتلتقي بهذا مع الرؤية التداوليّة بتجاوزها المعنى الحرفيّ الملفوظ إلى المعنى المضمّن أو الاستلزامي. ولاسيّما مقولة الأفعال الكلاميّة غير المباشرة التي يقصد المتكلّم فيها شيئاً غيرما يعنيه المعنى الحرفيّ لملفوظه، ومن ثمّ فإنّ المنطوق يشتملُ على مدلولين: حرفيّ غير مقصود، ومُضمر مقصود. ويُعرف المدلول الثاني في البلاغة العربيّة بمعنى المعنى، ويُعرف في التداوليّة **بالقصديّة**؛ الناتجة من الربط بين التراكيب اللغويّة المنجَزة وغرض المتكلّم والقصد العامّ من الخطاب.[20]

ونجد عند **عبد القاهر الجرجانيّ** ما يشير إلى الانزياح الدلاليّ الذي ينقلُ الكلامَ من الخطاب المباشر إلى الخطاب غير المباشر، وما يتبعه من ضرورة الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى عن طريق التأويل والإحالة، يقول: "وجملة الأمر أنّ صُوَر المعاني لا تتغيّر بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتّى يكون هناك **اتّساع ومجاز**، وحتّى **لا يُراد** من الألفاظ ظواهر ما وُضِعت له في اللغة، ولكن **يُشار** بمعانيها إلى معانٍ أُخَر" [21]

هنا تتجلّى التداوليّة بأنّ المتكلّم يتلفّظ بغير ما يقصد، لكن لعلاقة خفيّة يلحظها المتلقّي بوصفه شريكاً متعاوناً في التخاطب، وقد تفطّن عبد القاهر إلى جعل هذه العلاقة من باب (الإشارة)؛ إشارة ظاهر ما وضع له اللفظ في اللغة إلى معانٍ أُخَر مُضمرة لكنّها على تعالقٍ سياقيّ مع المعنى الظاهر. هذا التعالق بين دلالة المتلفّظ الصريحة ودلالته المضمرة خفيّ، يحتاج إلى معرفةٍ وتعاونٍ من قِبل المتلقّي.

4 . الخروج عن مقتضى الظاهر:

ويظهر البُعد التداوليّ في أضرب الخبر والإنشاء[22] وخروجها عن مقتضى الظاهر في البلاغة العربيّة، كما نجد في حكاية الكنديّ مع أبي العبّاس[23]،حول اختلاف صياغة **أسلوب الخبر** باختلاف المقاصد المُرتَهنَة بحال التخاطُب، في

---

[18]. القزوينيّ، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمّد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهريّة، القاهرة، 41/1، 43.

[19]. فضل، صلاح: *بلاغة الخطاب وعلم النصّ*: 26،25 . وينظر 97 وما بعدها

[20]. ينظر: صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*: 10، بلانشيه، فيليب: *التداوليّة من أوستن إلى غوفمان* ، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجمايعي، منشورات عالم الكتب الحديث، ط1، 2012م، 119.

[21]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز* ، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدّة، ط3، 1992م،265.

[22]. ينظر: صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*،51 وما بعدها.

[23]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، 315.

المتلفظات الآتية: (عبدُ الله قائمٌ) في موقفٍ القصد منه الإخبار عن قيامه، و(إنّ عبدَ الله قائمٌ) في موقفٍ القصد منه الجواب على سؤال سائلٍ، و(إنّ عبدَ الله لقائمٌ) في موقفٍ القصد منه الجواب عن إنكار مُنكرٍ قيامَه. فهذه التراكيب الثلاث تمثّل في البلاغة أضرب الخبر الثلاث (الابتدائيّ والطلبيّ والإنكاريّ)، وتعدّ في التداوليّة أفعالاً لفظيّة مختلفة، تحقّق أفعالاً إنجازيّة مختلفة بحسب المقام، بما يضمن تحقيق الغرض ونجاح الأثر.

والأمر نفسه في خروج **الأسلوب الإنشائيّ عن مقتضى الظاهر**؛ إذ يتمّ الانتقال في الجملة الإنشائيّة من معنى الملفوظ المُصرّح به إلى معنى غير مصرّح به، أو الانتقال من الوظيفة اللغويّة الثابتة إلى الوظيفة السياقيّة المتغيّرة، وهذا الأمر تابعٌ **للاستلزام الحواريّ**؛ إذ يفسّر قدرة المتكلّم على أن يعني أكثر ممّا يقول بالفعل أو غير ما تؤدّيه عباراته المستعملة، أو عكسه؛ أي يميز بين قوّتين إنجازيّتين: قوّة حرفيّة مباشرة مُدركة مقاليّاً، وقوّة مستلزمة غير مباشرة مدركة مقاميّاً.

وهنا تظهر فاعليّة النوع الثاني من الاقتضاء التخاطُبيّ في التداوليّة، وهو الحاصل من خرق قواعد التعاون، فإذا كان الاقتضاء التخاطبيّ المتعارَف يحدّد أنّ أسلوبّ الاستفهام ينبغي أن يُستخدم لطلب الفهم حسب مبدأ الكمّية، فإن الاقتضاء التخاطبي الحاصل عن الخرق يجد أنّ أسلوب الاستفهام قد يعني التهديد أو الاستنكار أو النفي. والمهمّ في ذلك كلّه أنّ المتكلّم والمتلقّي يراعي كلاهما هذا الخرق مثلما يراعيان النوع المتعارف، ويسعيان إلى توخّي المقاصد.[24]

2. التداوليّة و الكناية:

تقدّم التداوليّة الخطاب الخياليّ بوصفه عملاً لغويّاً غير مباشر، يحتاج إلى تأويلٍ لبيان قصده الإنجازيّ، وتعدّ الكناية من هذا النمط ؛إذ ينتقل المستمع "من المعنى الحقيقيّ إلى المعنى الذي يقصده المتكلّم في قوله ... فتتجاوز الدلالةَ الصريحة إلى ما وراء القول للوصول إلى المعنى. "[25]

وترجع خصوصيّة الصورة الكنائيّة إلى أنّ الآليّة الاستدلاليّة فيها تقوم على ادّعاء أمرٍ مصحوباً بالبيّنة،أو بالدليل الذي يجسّده المعنى الظاهر، ومن ثمّ يكون المخاطب إزاء موضوعٍ ظاهر مباشر وموضوع غائب خفيّ، مروراً بموضوعات ديناميّة تتيح العمليّة الاستدلاليّة لفهم العلامة اللغويّة الكنائيّة وتنظّمها. لذلك يمكن رصد تجلّيات التداوليّة في تعريفات الكناية وشروحها في البلاغة العربيّة على النحو الآتي:

أوّلاً . مفهوم التداوليّة في تعريفات الكناية:

في الأصل اللغويّ يقال: " كَنَوْتُ بِكَذا عَنْ كَذا.... وَاسْتَعْمَلَ سِيبَوَيْهِ الكِنايَةَ في عَلامَةِ المُضْمَرِ."[26]،ويقال: قد كنوتُ بكذا عن كذا أو كنيتُ، إذا تركتُ التصريح به، وتعني أن تتكلّم بشيء وأنت تريد غيرَه. وهو معنى يدلّ على الستر والإخفاء. وفيه دلالة تداوليّة هي أنّ المتكلّم يقول شيئاً ويقصد به شيئاً آخر، أو يظهر خِلاف ما يخفي، فعلامةُ المُضمرِ الكنايةُ.

وفي تعريفات الكناية لم يغفلِ البلاغيّون القدماء عن ملاحظة أنّ الكناية مشروطةٌ باعتبار مقام إنتاجها، وبالعلاقات غير اللغويّة التي ينبني عليها فهْم المقاصد غير المصرّح بها من قِبل المتكلّم، على النحو الذي نجده في أسبق التعريفات الاصطلاحيّة فيما صاغه **قدامة بن جعفر** (ت 337هـ) تحت مسمّى الإرداف: "وهو أن يريدَ الشاعر دلالةً على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدالّ على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو رِدفه وتابع له، فإذا دلّ

---

[24]. ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللسانيّ*، جامعة الكويت، مجلّة عالم الفكر، مج20، ع3، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1989م، 147، 152 .

[25]. بلانشيه، فيليب: *التداوليّة من أوستن إلى غوفمان*، 154.

[26]. ابن منظور: *لسان العرب*، كني 5/ 3944.

على التابع أبان عن المتبوع "[27].يشير هذا التعريف إلى أنّ المعاني المستفادة من الكناية تأتي عن طريق الانتقال بين التابع والمتبوع .

وقد أوضح ذلك من خلال معالجة شاهدٍ شعريّ هو قول الشاعر:[28]

بَعِيدَةُ مَهوَى القرْطِ إمَّا لِنَوْفَلٍ أبُوهَا، وإمَّا عَبْدُ شَمْسٍ فهاشِمُ[29]

يقول: "وإنّما أراد الشاعر أن يصف طولَ الجِيد فلم يذكره بلفظهِ الخاصّ به، بل أتى بمعنى هو تابعٌ لطولِ الجيد، وهو بُعدُ مَهوى القرط "[30]. فهو يبيّن أنّ المعنى المقصود الغائب هو طول الجيد، والمعنى الملفوظ الحاضر هو بعيدة مهوى القرط ، الذي يتبع طول الجيد ويردفه ويرافقه ويلازمه .

و ذكر **ابن رشيق** (ت456هـ) في (باب التتبيع) ما نصّه:

"حدّ التتبيع: ومن أنواع الإشارة التتبيع، وقومٌ يسمّونه التجاوز، وهو: أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه، ويذكر ما يتبعه في الصفه وينوب عنه في الدلالة عليه، وأوّل من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة:[31]

وَيُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فراشها نؤووم الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ[32]

فقوله " يضحي فتيت المسك " تتبيع، وقوله: " نؤوم الضحى" تتبيعٌ ثان، وقوله " لم تنتطق عن تفضّل" تتبيع ثالث، وإنّما أراد أن يصفها بالترفُّهِ، والنعمة، وقلّة الامتهان في الخدمة، وأنّها شريفة مَكْفِيّة المؤونة، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة ... وكلّ ما وقع من قولهم: طويل النِّجَاد، وكثير الرماد، وما يشاكلهما فهو من هذا الباب ."[33]

يلتقي هذا القول مع التداوليّة في أنّ كلّ منطوق يحتوي على مضامين وعلى مقاصد أيضاً، ويلتقي التتبع والتجاوز . اللذان وصف بهما آليّة الدلالة في الكناية . بالاستلزام الحواريّ، وخرق قواعد التعاون الذي يعدّ بحدّ ذاته تعاوناً؛ لأنّ المتلقّي سيأخذ بالحسبان ما قام به المتكلّم من تجاوزٍ دلاليّ عندما لم يصرّح بذكر قصده؛ بل أخفاه وستره بما صرّح به من ملفوظ. فقد صرّح بـ "يضحي فتيت المسك" ، و" نؤوم الضحى"، و" لم تنتطق عن تفضّل"، وهي معانٍ تتبع قصده في صفة تلك المرأة، لذلك يمكنها أن تنوبَ عنه في الدلالة عليه. وبذلك تتحدّد الكناية بأنّها من الأفعال الإنجازيّة الضمنيّة غير المباشرة.

أمّا تعريف **عبد القاهر الجرجانيّ** (ت 471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز)ففيه أنّ الكناية هي "أنْ يريدَ المتكلّم إثباتَ معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنًى هو تاليه وردِْفُه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: "هُو طويلُ النجاد"، يريدون طويل القامة، ... أفلا ترى أنّ القامة إذا طالت طال النّجاد؟ "[34].ونلحظ أنّه يُظهر عنصرين من عناصر فاعليّة الكناية هما عنصر الإيماء وعنصر التدليل. وقد

---

[27]بن جعفر، قُدامة: *نقد الشعر*، تحقيق وتعليق د. محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 157.

[28]. ينظر: عمر بن أبي ربيعة: *ديوان عمر بن أبي ربيعة*، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، المكتبة الأزهريّة، 1995م، 235.

[29]. في الديوان: (وهاشمُ)،235.

[30]. بن جعفر، قدامة: *نقد الشعر*، 157. 158.

[31]. ينظر: امرؤ القيس: *ديوان امرئ القيس*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط5، دار المعارف، 1990م، 17.

[32]. في الديوان (وتُضْحِي)، 17.

[33]. القيروانيّ، ابن رشيق: *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط 1، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع، 2006م، 1/ 260. 261.

[34]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، 66.

أورد عبد القاهر هذا التعريف في فصل بعنوان (في اللفظ يُطلق والمراد به غير ظاهره) وواضح ما في هذا العنوان من ملمحٍ تداوليّ في الوقوف على المعنى المستلزم، وهو يريد باللفظ صورة المعنى اللغويّة، وقوله " والمراد به غير ظاهره " يدلّ به على أنّ الاعتداد إنّما يكون بسياقات الاستعمال أكثر من الاعتداد بأصل اللغة. وفي إجراء هذا التعريف التداوليّ على التعبير الكنائيّ العربيّ" كثير الرماد" يكون الآتي:

1 . أن يريد يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني هو (الكرم): القصد المضمر.

2 . فلا يذكر الكرم باللفظ الموضوع له في اللغة (لفظة الكرم ومرادفاتها):عدم التصريح به.

3 . ولكن يجيء إلى معنى (كثير الرماد) بوصفه تالياً للكرم وردفه في الوجود؛ أي على صلةٍ به أو ملازم له في الواقع الملموس: الفعل المنجز.

4 . فيومئ بكثرة الرماد إلى الكرم: يشير بالفعل المنجز إلى القصد المضمر.

5 . فيجعل (كثرة الرماد) دليلاً على (الكرم): يجعل الفعل الكلاميّ المنجز دليلاً دالّاً على القصد المضمر وساتراً له في الوقت نفسه، وهذا ما عناه بالإيماء والإشارة.

وعلى المنوال نفسه يأتي تعريف **السكّاكي** (ت 626 هـ): "الكناية هي تَرْكُ التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: طويل النجاد، لينتقل منه إلى ماهو ملزومه وهو طول القامة ... وسُمّي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء التصريح، ودلالة " كنى" على ذلك؛ لأنّ (ك،ن،ي) كيفما تركّبت، دارت مع تأدية معنى الخفاء"[35].

والأمر نفسه في تعريف **الخطيب القزوينيّ** (739 هـ):"الكناية لفظٌ أُريدَ به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ "[36]؛ إذ يصف هذا التعريف بدقّة الثنائيةَ الدلاليّة في الكناية، فالمعنى الظاهر غير مقصود، والمعنى المضمر اللازم للمعنى الظاهر هو المقصود، وأنّ الأوّل لا يتعارض مع الثاني؛ بل يعدّ معبَراً منطقيّاً إليه.

ونقع في كتب التعريفات الاصطلاحيّة على تعريف يحدّد العناصر التداوليّة في الكناية تحديداً جديراً بالتوقّف عنده، ونقصد بذلك ما جاء في كتاب **(التعريفات) لعليّ بن محمّد الجرجاني** (816هـ)؛ إذ نجد فيه ما نصّه: " **(الكناية):** كلامٌ استُتر المرادُ منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهراً في اللغة، سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز، فيكون تردّدٌ فيما أريد به، فلا بدّ من النيّة، أو ما يقوم مقامها، من دلالة الحال ...، والكناية عند علماء البيان: هي أن يعبَّر عن شيء، لفظاً كان أو معنى، بلفظ غير صريح من الدلالة عليه، لغرض من الأغراض." [37]. يشتمل هذا التعريف بوضوح على عناصر تداوليةٍ هي: فعل التلفّظ في قوله: (الكناية كلام) وقوله: (أن يعبَّر عن شيء ... بلفظ ...)، والفعل التأثيريّ في قوله: (لغرض من الأغراض)، وسياق الحال التخاطبي في قوله: (فلا بدّ من النيّة أو ما يقوم مقامها، من دلالة الحال)، والأقوال المضمرة المرتبطة بمقام التخاطب في قوله: (سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز) وقوله: (استتر المراد منه)، ومبدأ التعاون في قوله (الاستعمال) و(وإن كان معناه ظاهراً في اللغة).[38]

---

[35]. السكّاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2000م، 512.

[36]. القزوينيّ، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، 5 / 158.

[37]. الجرجانيّ، عليّ بن محمّد بن عليّ: *التعريفات*، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَوَضَعَ فَهارِسَهُ: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، 1403م. 240.

[38] . ينظر : هذا البحث ، 4.3.

ثانياً . مظاهر تداوليّة الكناية في شروح عبد القاهر :

لعلّ أهمّ شروح تعريفات الكناية التي يتجلّى فيها عدد من مظاهر التداوليّة هو الشرح التحليليّ الذي قدّمه عبد القاهر الجرجانيّ، عندما فرّق بين ضربين من الكلام ضرب صريح المقصد وضرب تأويليّ المقصد، يقول: "الكلام على ضَرْبينِ: ضَرْبٌ أنت تصِل منه إلى الغرض بدلالةِ اللَّفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تُخْبِر عن "زيد" مَثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلت: "خرج زيد" ، وبالانطلاق عن "عمرو" فقلت: "عمرو منطلق"، وعلى هذا القياس.

وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدَه، ولكن يَدُلّك اللفظ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُه في اللغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دِلاَلَةً ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذَا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و " التمثيل " ،..."[39]

فقد ماز عبد القاهر بين الأفعال الكلاميّة الصريحة المباشرة، والأفعال الكلاميّة الضمنيّة غير المباشرة، وهذا ما صنّفته التداوليّة تحت مفهوم الاستلزام الحواريّ أو المحادثيّ، عندما بيّن غرايس أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فنجد عند عبد القاهر أنّ الضرب الذي تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده هو أن تقول ما تقصد " بصيغة الجملة ذاتها"[40]، وهو فعلٌ كلاميّ صريح مباشر لا يحتاج إلى تأويل. في حين جعل الكناية من الضرب الثاني، الذي لا يتطابق معناه الحرفيّ مع غرضه الإنجازيّ، ويتقاطع مع الاستراتيجيات التداوليّة التلميحيّة التي تحتاج إلى عمليّات ذهنية استدلاليّة من قبل المتلقّي للوصول إلى القصد. وبيّن أنّ دلالة اللفظ الظاهرة هي الدلالة الموضوعة له في اللغة، وأنّها لا تكفي وحدها للدلالة على الغرض، وقوله: **وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدَه،** يبيّن أنّ دلالة اللفظ وحده جزءٌ دالّ من عمليّة البيان والاستدلال يحتاج إلى مؤازرة دوالّ سياقيّة تأويليّة أخرى؛ أي إلى اللزوم والتتبيع.

ثمّ يفصّل شارحاً ذلك في الكناية: " أو لا ترى أنّك إذا قلت: "هو كثير رماد القِدر"، أو قلت: "طويل النجاد"، أو قلت في المرأة: " نَؤُوم الضحى"، فإنّك في جميع ذلك لا تُفيد غَرَضك الذي تعني من مجرَّد اللفظ، ولكن يدلّ اللّفظ على معناه الذي يُوجِبه ظاهرُه، ثمّ يعقلُ السامع من ذلك المعنَى، على سبيل الاستدلال، معنًى ثانياً هو غَرَضُك ، كمعرفتك من " كثير رماد القدر" أنّه مِضْياف، ومن "طويل النجاد" أنّه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى" في المرأة أنّها مُتْرفة مخدومةٌ، لها من يكفيها أمرها "[41]. ثم يردف موضحاً الخلاصة:

"وإذا قد عرفت هذه الجملة، فههُنا عبارة مختصرةٌ وهي أن تقول: " **المعنى**"، و"**معنى المعنى**"، تعنِي بالمعنَى المفهومَ من ظاهر اللفظ والَّذي تصل إليه بغير واسطة = و" بمعنى المعنى" ، أن تعقل من اللَّفظ معنًى، ثمّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسَّرتُ لك."[42]

في قراءة تحليليّة للتأصيل السابق، يمكن للدارس أن يستخلص مفاهيم تداوليّة واضحة؛ فالكناية تقصد أكثر ممّا تقول، أو غير ما تقول، وقد شرح عبد القاهر كيفيّة جريان العمليّات الاستدلاليّة في معالجة الملفوظات الكنائيّة، وبيّن قواعد الاستدلال التي تمكّن المتكلّم من إحكام عباراته اللغويّة، بما يستجيب لمقاصده في المقامات التواصليّة المختلفة التي يكون فيها. وهو مسعى التداوليّة عندما تبيّن أنّ التواصل الضمنيّ . وما فيه من استراتيجيّة الإضمار. أفضل استعمالاً

---

[39]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، 262.

[40]. صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*،34

[41]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*،262.

[42]. المصدر السابق، 263.

من التواصل الصريح في بعض السياقات. وهذا ما نجده عندما يربط عبد القاهر الكناية بمقامات إنتاجها، وبالعلامات غير اللغويّة التي يُعتمد عليها في فهم المعاني الثواني أو معنى المعنى.

وقد بيّن عبد القاهر أنّ الدلالة التأويليّة للكناية تتطلب اشتراك المتكلّم والسامع، عندما عبر عنها بالانتقال من مرحلة المعنى إلى مرحلة معنى المعنى؛ إذ يتحوّل المعنى إلى دالّ جديد. بعد أن كان مدلولاً لصريح اللفظ . على المتلقّي أن ينقّب عن مدلوله. فيقوم بردم هذه الفجوة الدلاليّة، عبر الوسائط والاستدلالات المتتابعة، وتبدو هذه الفكرة واضحة في قوله في موضع آخر:

"فإنّ المِعْرَض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دَلّلت به على المعنى الثاني، ... فالمعاني الأُوَلُ المفهومة من أنفس الألفاظ هي المَعارِض والوشْي والحَلْيُ وأشباه ذلك، والمعاني الثواني التي يُومَأ إليها بتلك المعاني هي التي تُكسى تلك المعارض"[43].

ويذكر أنّ من شرط البلاغة ونجاح الاستدلال في الكناية "أن يكون المعنى الأوّل الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه، متمكّناً في دِلالته، مستقلاً بوساطته، يَسْفِرُ بينك وبينه أحسن سِفارة، ويشير لك إليه أبيَن إشارة، حتّى يُخَيَّلَ إليكَ أنّك فهمته من حاقِّ اللفظِ، وذلك لقلّة الكُلْفة فيه عليك، وسُرْعَة وصوله إليك "[44].

ويظهر مبدأ الاستلزام الحواريّ عندما يتجاوز معنى الملفوظ (كثير الرماد) ما تدلّ عليه صيغته الشكليّة اللغويّة عند ربطه بمقام إنجازه؛ فيتطلب تأويلاً دلاليًّا يتمّ فيه الانتقال من المعنى الصريح (كثرة الرماد) إلى المعنى المؤوّل (الكرم)؛ إذ يدرك المخاطب أنّ المتكلّم أظهر معنى لا يقصده وأخفى معنى يقصده، وأنّه في هذه الحال لابدّ من وجود صلة دلاليّة بين ما أظهر وما أخفى، عبّر عن هذه الصلة بالسفارة، الأمر الذي يستلزم منه أن يسعى إلى التأويل لإدراك معنى آخر يناسب السياق الذي يجري فيه التخاطُب، وتتجلّى التداوليّة هنا في مقولتها: إنّ المتكلّم يقول كلاماً (كثير الرماد)، ويقصد غيره (الكرم)، كما أنّ السامع يسمع كلاماً (كثير الرماد)، ويفهم منه غير ما سمع (الكرم).

وبذلك يكون المعنى المستلزَم هو المعنى **التابع** للدلالة الأصليّة الملفوظة، وهو ما يرمي إليه المتكلّم. والغرضُ من اللجوء إلى الاستلزام في الكناية غرضٌ تخييليّ إضافيّ أدبيّ جماليّ، له وظيفة بلاغيّة تهدف إلى بلوغ التأثير والإقناع.

3. مقاربات تحليليّة تطبيقيّة

أوّلاً . الكناية بين المنتج والمستهلك: (قراءة من خلال مبدأ التعاون)

إنّ أوّل ما يطالعنا في هذا المجال في تراثنا البلاغيّ مقولة الجاحظ: "وللعربِ إقدامٌ على الكلام، ثقةً بفهمِ أصحابهم عنهم"[45]، والإقدام هنا يعني الخرق والتجاوز والغموض واختيار الأفعال اللغويّة غير المباشرة التي لا تصرّح بالقصد، وفي التداوليّة أنّ هذا الخرق يولد الصور البيانية[46].ونجد كلّ ذلك متوافراً في الكناية؛ إذ يُقدم المتكلّم على استخدام الكناية ثقةً منه بفهم السامع وتعاونه في التأويل اعتماداً على كفاءته الإدراكيّة في الاستدلال على المضمرات في متضمّنات القول.

---

[43]. المصدر السابق، 263 . 264

[44]. المصدر السابق: 267 . 268

[45]. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *الحيوان*، بتحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1943م، 32/5.

[46]. ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللسانيّ*، 152.

وأشار التداوليّون إلى أنّ هناك سنناً مشتركة بين الباثّ والمتلقّي؛ فقد رأى سورل على سبيل المثال أنّ "الفعل الكلاميّ يمثّل شكلاً من أشكال السلوك الاجتماعيّ المرهون بمتتالية من **التعاقدات** الاجتماعيّة العرفيّة، ومن ثَمّ فإنّ نجاحه يخضع إلى مراعاة مسائل ذات بُعد اجتماعي بالدرجة الأولى، ولا سيّما إماطة اللثام عن السنن المشتركة بين الباثّ والمتلقّي " [47]

يقوم مبدأ التعاون بين الباثّ والمتلقّي على قواعد اقترحها غرايس هي: الكمّ أو القَدْر، الكيف، الملاءَمة، الجهة أو عدم اللبس، وترسم هذه القواعد" للمشاركين ما يجب عليهم القيام به، لكي يتمّ التخاطب بالطريقة المُثلى من التعاون والعقلانيّة والفعاليّة. بالطبع هذا لا يعني أنّ عليهم أن يتبعوا القواعد المذكورة حرفيّاً ...؛ إذ، قلّما يستمرّ التخاطب العاديّ على هذا المنوال. بل المقصود من ذلك أنّه، حتّى عندما لا يجاري التخاطُب ما ترسمه القواعد المذكورة، يظلّ السامع يفترض، خلافاً للظاهر، أنّ المتكلم ما زال يأخذ بهذه القواعد، ولو على مستوى أعمق، حتّى يتسنّى له التوصّل إلى معنى ما. فمن دون تقدير هذه القواعد يستحيل التواصل بين الناس"[48]، وتتولّد الكناية عندما لا يجاري التخاطُب ما ترسمه تلك القواعد؛ إذ إنّها تومئ إلى القصد إيماءً "لا يَفْطُنُ له إلَّا من غَلغَلَ الفِكْرَ وأدَقَّ النظر، ومَنْ يرجِع مِنْ طبعه إلى أَلْمَعِيَّة يَقْوَى معها على الغامض، ويصلُ إلى الخفيّ" [49]، فتنشأ ظاهرة الاستلزام الحواريّ التي تتطلّب من المتلقّي اللجوء إلى التأويل.

ونختار للتدليل على ذلك قراءة تحليليّة لقاعدتي الكمّيّة والكيفيّة الأشدّ صلةً بطبيعة الكناية:

أ . في خرق قاعدة الكمّيّة ينتج التعريض في الكناية:

تقول قاعدة الكمّيّة: يجب أن تكون كمّيّة المعلومات على قدْر ما هو مطلوب من الإخبار، لا زيادة ولا نقصان[50] ؛ أي أن تكون الألفاظ بقدر المعاني. لكنّ المتكلّم قد يتهرّب في سياقٍ ما، في بعض مواقفِ التّخاطُب، من الالتزام بالإفادةِ المطلوبة، فلا تأتي المعلومات التي يقدّمها على قدر ما هو مطلوب، احترازاً من **إحراج** ما، فيسعى إلى إيصال قصد هو حُسن التخلّص من الموقف المحرج في الوقت ذاته، متوسّلاً طريقةً كنائيّة تعرف باسم **التعريض**[51]، فيدرك المتلقّي أنّ المتكلّم بمجرّد أنّه فعل ذلك فقد أظهر حُسن نيّته في التعاون، وأنّ تلفّظَه بهذه الكناية يحملُ مدلولاتٍ أخرى تزيد على المنطوق، لكنّه تعمّد إخفاءها، من أجل نجاح الفعل التأثيريّ؛ لأنّ "التعريض أوقع من التصريح" [52] على حدّ قول عبد القاهر، وشدّة وقعه في نفس المتلقّي هي الغاية الإبلاغيّة.

يذكر ابنُ رشيق القيروانيّ (ت 456هـ) التعريضَ بوصفه نوعاً من أنواع **الإشارة**، والإشارة عنده تعني إخفاء المعنى، وتقع في مظاهر تصويريّة بلاغيّة كالتشبيه والكناية؛ أي في صور المشابهة والمجاورة، وذكر أنّ للإشارة منزلةً إبداعيّة وقيمة شعريّة؛ فهي "من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبة، تدلّ على بُعد المرمى وفَرْط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر، وهي في كلّ نوع من الكلام لمحة دالّة، واختصار وتلويح يعرف مجملاً **ومعناه بعيد**

---

[47]. أحمد، واضح: *الخطاب التداوليّ في الموروث البلاغيّ العربيّ من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريّ* ، إشراف: أ.د. لزعر مختار، رسالة دكتوراه، الجزائر ، جامعة وهران، كليّة الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربيّة وآدابها، السنة الجامعيّة 2011، 2012م، 218.

[48]. ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللسانيّ*، 147 .

[49]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، 455.

[50]. ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللسانيّ*، 147.وينظر: صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*: 33. 34.

[51]. ينظر: السكّاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، 523. القزويني، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*،5/ 175. 178.

[52]. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز* ،70، وينظر306.

من ظاهر لفظه"[53]. ويُفهَم من شواهده أنّ التعريض ليس للذمّ والوعيد فقط ؛ فهناك "تعريض مدح". أو تعريض تحبّب وتظرّف وتلطّف، كما أشار قبله ابن جني (ت 392 هـ)[54]، أو تعريضٌ "أكثر أرباب الحياء من الناس مضطّر إلى مثله "[55].كما أشار بعده عبد القادر البغدادي (ت1093هـ)

إنّ تحوّل الدلالة في الكناية إلى المستوى التعريضيّ له ضوابط تداوليّة عند البلاغيّين العرب؛ أهمّها الاحتكام إلى السياق، يقول السكاكيّ: " ثمّ إنّ الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة؛ **ومساق الحديث** يحسر لك اللثام عن ذلك" [56]. أمّا الخطيب القزوينيّ فيفرّق بين الكناية الدالّة على التعريض والكناية غير الدالّة عليه، في قوله: "والتعريض كما يكون كنايةً يكون مجازاً، كقولك" آذيتني فستعرف"، وأنت لا تريد المخاطَب، بل تريد إنساناً معه، وإن أردتهما جميعاً كان كناية" [57]؛ فالكناية في المتلّفظ " آذيتني فستعرف" تدلّ "على **تهديد** المخاطَب لسبب الإيذاء، ويلزم عنه **تهديد** كلّ من صدر عنه الإيذاء، فإن استعملته وأردتَ به تهديد المخاطَب وغيره من المؤذين كان كناية، وإن أردت تهديد غير المخاطب بسبب الإيذاء لعلاقة اشتراكه مع المخاطب في الإيذاء إما تحقيقاً وإما فرضاً وتقديراً مع قرينة دالّة على عدم إرادة المخاطب كان مجازاً " [58]، فلابدّ لتحقُّق قصد **التهديد** من توافر قرينة سياقيّة دالّة، أو الاعتماد على قرائن الأحوال [59]. وهي هنا قرينة وجود إنسان آخر مع المخاطب المباشر في سياق التخاطب نفسه، بوصفه الشخص المعرَّض به أو المخاطَب غير المباشر. والتهديد الذي يقع في مستوى التعريض هو الذي وصفه السكّاكيّ والقزوينيّ بمجازيّة الكناية؛ أي ما بعد معنى (معنى المعنى) فيها.

ويعتمد فهم التعريض" على الحركةِ الذهنيّةِ عند المتلَقّي، وقُدْرَتِها على تجاوُز المستوى السَّطحيّ المباشرِ، ثمّ استنطاقِه بدلالةٍ بديلةٍ لم تَكُنْ من مُهِمَّةِ الصياغَةِ إنتاجُها أصلاً، وإنّما أنتجها المتلقّي بالتعامل مع فضاء الصِّياغَةِ وما يحتويه من إشارات دلاليَّةٍ، لَكِنَّ ذلك لا ينفي حضورَ قصدِ المُتَكَلِّم، بل إنَّ حضورَه له اعتبارُهُ الأصيل في إنتاج المعنى **التعريضيِّ**" [60]. ويتجلّى التعريض بوصفه بنيةً "**مجاوِزة للكناية**؛ لأنَّ دلالة الكناية تتأتّى بالتّحَوُّل مِنَ المستوى السَّطحيِّ إلى اللوازم العميقةِ. في حين أنَّ في التَّعريضِ يتمُّ تجاوزُ المنطوقِ في مستواه السَّطحيِّ أو العميق، **والتَّعلُّقُ بالإضافات الدَّلاليَّة الطارئة مِنَ السياقِ.**" [61]. فالتعريض لا يكون في كلّ كناية؛ بل في النوع الخفيّ البعيد من الكنايات، أو ما بعد الكناية. ويعتمد على فهم السامع لملابسات المقام، وعلى مقدرته الإدراكيّة، وألمعيّته التي يقوى معها على الغامض ويصل إلى الخفيّ.

---

[53]. القيروانيّ، ابن رشيق : *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* ، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.1/ 250.

[54]. ينظر: ابن جنّي: *الخصائص*، تحقيق محمّد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت، ط1،2/ 220.

[55]. *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1996م، 6/ 459، 462.

[56]. السكّاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، 513.

[57]. القزويني، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، 5/ 177. 178.

[58]. القزويني، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، حاشية المحقّق 5/ 178. وينظر: السكّاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، 523.

[59]. السكّاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*،523.

[60]. عبد المطّلب، محمّد : *البلاغة العربيّة قراءة أخرى*، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونجمان، ط1، 1997م، 193.

[61] . المرجع السابق، 193.

ونمثّل لتعريض الذمّ بقول المتنبّي مخاطباً سيف الدولة :[62]

أُعيذُها نَظراتِ مِنكَ صادقةً أَنْ تَحْسَبَ الشحمَ فيمَنْ شَحمُهُ وَرَمُ

ففي متلفّظ الكناية (شحمه ورم) في تركيب هذا البيت ما لا يشكّل حرجاً أو معضلة؛ لأنّ ظاهر القول فيه: "إنّك إذا نظرتَ إلى شيءٍ عرفته على ما هو عليه، فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحماً." [63]، وهذا المعنى الظاهر يخلو من الذم أو التهكم.

أما معنى هذا المعنى فهو التنبيه والنصح إلى أنّ الشحمَ البادي للنظر مزيفٌ، ثمّ إنّ الدلالة السياقيّة لا تقف هنا؛ بل يتحوّل معنى المعنى إلى **إشارة** يؤوّلها المتلقّي الفَطِن، ويصلُ منها إلى معنى أبعد يتحوّل فيه المدلول إلى دالّ يشير إلى مدلولٍ جديد آخر بعيد يُفهم من سياق المنطوق لا من المنطوق وحده، هو الذي قصده الشاعر ويريد إبلاغه المخاطَبَ سيف الدولة وسواه، وهو أنّ سيف الدولة في الواقع يحسب الشحمَ ورماً، ولا يحسن التمييز بين الأمور ولا يفرّق بين جيّدها ورديئها، ولا بين الصديق الحقيقيّ خالص الودّ والصديق المزيّف مدّعي الودّ، كأنّه يقول له ذامّاً " لا تظنّ المتشاعر شاعراً كما يحسب الورم سِمناً." [64]، وفي هذا الأسلوب نوع من الذمّ، أو الهجاء المبطّن، وتقليل من شأن المخاطب سيف الدولة، ومن هيبته. إنّه التعريض الذي يضمر فيما يضمر هجاءً وتقليل شأن، فالمتنبي يعرّض بسيف الدولة الذي صدّق الواشين، ولا سيّما خصومه من المتشاعرين، الذين سعوا إلى الإيقاع بينهما. فـ (متشاعر وليس بشاعر) هو القول المضمر في عبارة " شحمه ورم".

التحولات الاستدلاليّة: لذلك يمكن القولُ لقد استطاع الشاعر بهذه الكناية أن يحميَ نفسَه من تبعات موقفٍ حرج، أو ربّما خطِر، بما ظهر من المدلول الأوّل لملفوظه المكوّن لغويّاً من (شحمه ورم) كناية عن الزيف بدليل اللزوم، بوصفه فهماً عامّاً لها، ثمّ تتحول هذه الكناية من معنى الزيف إلى معنى التعريض في سياق تجربة الشاعر مع سيف الدولة؛ أي بمراعاة مناسبة القصيدة ومضمونها، وسياق البيت ذاته وفضاء صياغته، فقد احتاج التعريض إلى نوع من التخصيص السياقيّ، لإنتاج المعاني الإضافيّة التعريضيّة، وهو ما يمكن أن نطلقَ عليه لزوم اللزوم، أو دلالة معنى المعنى. الذي تغذّيه حركيّة الاستدلال، ومكمنها مقدرة المتلقّي على الاستنطاق والاستنباط.

وتجري حركة التحوّل الدلاليّ في الكناية ذات الصبغة التعريضيّة في البيت على النحو الآتي:

. دلالة أولى للدالّ شحمه ورم: كناية عن الامتلاء من غير شحم، امتلاء وهميّ، مزيّف (المفهوم باللزوم)، وهو مفهوم عامّ منقطع عن سياق تخطابيّ.

. دلالة ثانية للمدلول مزيف أو زائف أو وهميّ: لكنّ سيف الدولة حسبَ الورم شحماً؛ أي حسب الوهم حقيقة، وهو مفهوم منتمٍ إلى سياق تخاطبيّ (مفهوم سياقي أوّل، عامّ)

. دلالة ثالثة: الزيف والحقيقة متساويان عند سيف الدولة، فهو يساوي في المنزلة بين الشاعر والمُتشاعر، وهذا المفهوم منتمٍ إلى فضاء نسقٍ مضمرٍ يمثّل السياق التخاطُبيّ الخاصّ بمناسبة القصيدة وتجربة الشاعر (مفهوم سياقيّ ثانٍ، خاصّ).

---

[62]. البرقوقيّ، عبد الرحمن: *ديوان المتنبّي*، حقّق النصوص وهذّبها وعلّق حواشيَها وقدّم لها الدكتور عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم للنشر والتوزيع، بيروت، 1983م، 2/ 344.

[63]. البرقوقيّ، عبد الرحمن: *ديوان المتنبّي*، 2 / 344.

[64]. المصدر السابق، 2/ 344.

. دلالة رابعة: تابعة للنسق المضمر أيضاً، تقول: إذن سيف الدولة شخص سيّء، يظلم الشاعر، لذا يستحق الذم والهجاء، وهذا هو المعنى البعيد الأوّل المستنطق من معنى المعنى.

. دلالة خامسة: من إيحاءات دلالة النسق المضمر ما يشير إلى أنّ الشاعر مظلومٌ بريء، والظالم سيف الدولة، وهو القصد أو المعنى الأبعد المستنطق من معنى المعنى أيضاً.

. نتيجة: الدلالة الأولى تعدّ بمنزلة الأقوال المضمرة؛ لأنّها وليدة أساس من أسس التداولية المسمى (متضمّنات القول) وفيه تتجاوز الدلالة الافتراض المسبق الخاصّ بالتشكيل اللغويّ المذكور، فالشاعر قال شيئاً (شحمه ورم) وقصد شيئاً آخر(الزيف)، وهي بهذا المستوى الدلاليّ لا تحمل معنى التعريض. لكنّ الأمر لا ينتهي هنا، بل يبدأ من هنا؛ إذ وظّف هذا القول المضمر في سياق نسقٍ تخاطبي مُضمر، مجاوزاً به القصد الأوّل، إلى استنطاق الإضافات الدلاليّة الطارئة من هذا النسق، ليصيّره رسالةً هادفة تحمل الدلالات التعريضيّة السابقة نفسها . فأسلوب الكناية البعيدة الذي خرق قاعدة الكمّ أو القدْر حمى المتكلّم وحصّنه ومكّنه من قصده التعريضيّ في الوقت نفسه.

ب . في خرق قاعدة الكيفيّة تنتج المفارقة التهكّميّة:

تعني المفارقة التهكّميّة أن يقصد المتكلّم الإهانة لكنه يصرّح بنقيضها، ولا يتمكّن القارئ الغفْل من إثبات ذلك.[65] وفي التداوليّة تقول قاعدة الكيفيّة: " لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه ".[66] وفي خرقها يصرّح المتكلّم بما لا يطابق ما يفكر به؛ أي لا يتوخّى الصدق، وهو ما وصفه عبد القاهر بقوله: "اللفظ يُطلق ويُراد به غير ظاهره"، أو يطابق ما جاء في تعريف الكناية: " يُظهر خلاف ما يخفي "، فيفترض المتلقّي أنّ المتكلّم أراد أن يوصل أمراً ما، فلا بدّ له بوصفه متلقياً متعاوناً من أن يبحث عن تأويلٍ في هذا السياق، يستدلّ من خلاله على أنّ المقصودَ نقيضُ ما صرّح به المتكلّم، ويجد غرايس في هذه الحال أنّ التلفّظ يكذب والمقتضى يصدق.[67]، فتؤدّي الكناية معنى **التهكّم والاستهزاء والسخرية** عن طريق هذه المفارقة الدلاليّة.

ويمكن تصنيف هذا النوع تحت مسمّى **الكناية الفرديّة**[68]، المنتجة في ظلّ هيمنة رقابة الآخر، استجابة لتجربة الفرد الذاتيّة وحالته النفسيّة، وهروباً من رقابة الآخر، فيلجأ إلى الكناية البعيدة التي يغلّفها بمزيدٍ من حواجز **الغموض** التي تسدّ على المتلقّي غير المدرِك لخصائص سياق التجربة الوصولَ إلى قصد المتكلّم أو إلى المعاني المُضافة إلى ما بعد معنى المعنى.

ويعدّ هذا التصوّر قريباً ممّا يُشار إليه في التداوليّة بـ**مبدأ التأدّب**، عبر ما يسمّى **المفارقة**، التي حدّدها ليتش بقوله: "إذا كان يتحتّم عليك التسبب في **إهانـةٍ** فيجب على الأقلّ أن تنقل ذلك بطريقة لا تسبب تعارضاً علنيًّا صريحاً مع مبدأ التأدُّب، ولكن بطريقة تمكّن المستمع من أن يصلَ إلى نقطة الإهانة من خلال ملاحظتك بطريقة غير مباشرة، وذلك بطريقة الإضمار".[69]

---

[65] . ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللساني*، 147.

[66] . المرجع السابق: 147، وينظر: صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*، 34.

[67] . ينظر: فاخوري، عادل: *الاقتضاء في التداول اللساني*، 162.

[68] . ينظر: حمام، بلقاسم : *الكناية هروب من اللغة هروب من الذات هروب من الآخر*، جامعة قاصدي مرباح ورقلة. مقال في مجلّة (الأثر)، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، مارس 2006، 77.

[69] . ينظر: بلبع، عيد: *البلاغة والتواصل*، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالميّة، نُشر بتاريخ 29/2/ 2016م.

ويقدّم ليتش وصفاً دقيقاً لمبدأ المفارقة بقوله: "ولكنّ مبدأ المفارقة ... يمكّن المتكلّم من أن يكونَ غير مؤدّبٍ بالرغم من أنّه يبدو مؤدّباً، يحدث ذلك **بكسرٍ ظاهريّ** لمبدأ التعاون، إلّا أنّه يساعده في النهاية" [70].

وأوضح جون سيرل الخاصّية الدلاليّة في المفارقة، وذلك أنّه " في منطوق المفارقة يعني المتكلّم **نقيض** ما يعنيه المعنى النحويّ للجملة، وعلى المخاطب أن يستخلصَ الدلالة المخبوءة في المفارقة من خلال ما تعنيه الجملة نحويًّا، ليخلص إلى أنّ ما يعنيه المتكلّم **عكس** ما تعنيه الجملة" [71].

ومن باب التأدّب عند العرب عدم التصريح بما يحرج من المعاني، وقد جعل البلاغيّون ذلك ضرباً من ضروب الكناية البعيدة، وأطلق ابن رشيق القيروانيّ على هذا الضرب: "الرغبة عن اللفظ الخسيس"[72].

وتقوم المفارقة الدلالية في الكناية على إخفاء المعنى إخفاءً يلتبس على القارئ العاديّ، ويوهمُ القارئ المؤوّل بالفهم بدءاً ثمّ يخيب وهمه عندما يكتشف المعنى النقيض. ونقف عند شاهد من قصيدة (أريك الرضا) للمتنبّي في كافور الإخشيدي:[73]

أُرِيكَ الرّضا لو أخفَتِ النفسُ خافِيا وما أنا عنْ نَفسِي ولا عنكَ راضِيا

يعني إذا أرادت النفسُ (نفسي) أن تخفيَ شيئاً وتَظْهِرَ ضدّه فإنّها ستُظهر لك الرضا. فالمفارقة فيه أنّ التلفظ (أريك الرضا) كاذب، ومقتضاه (أخفي البغض) صادق، والفعل التأثيريّ (التهكّم والسخرية) متحقّق. فقد خرق الشاعر قاعدة الكيفيّة في هذه الكناية فأظهر خلافَ ما يخفي، من باب التأدّب أو حسن التخلّص، ما يعادل الكذب، الذي لم يرُق للمتنبي أن يتّبعه، فأردفَ بما يوحي بفعلٍ تأثيريّ إضافيّ: وما أنا عن نفسي ولا عنك راضيا.

ويقترن مفهوم السخرية أو الاستهزاء بلاغيّاً بمفهوم المفارقة الدلاليّة التي تتحقّق بوساطة الكناية، بوصفها تقنية بلاغيّة ذات بُعد مجازيّ تقوم على إثبات الشيء ونفيه، أو التعبير عن القصد بضدّه، فيتمكّن المتنبّي من إنكار ما أثبته (أريك الرضا)، فيواري الحقيقة ويظهر عكسها، فتتولد السخرية من توتّر العلاقة بين المعنيين الحقيقيّ والمجازيّ، فلا يتمكن القارئ من الكشف عن السخرية والتهكّم بقراءته الملفوظَ وحده؛ بل لابدّ أن يستعين بعناصر أخرى ملحقة بمجال الخطاب وحيثياته وتداخلاته، كالمعرفة بالمتكلّم بوصفه ساخراً، وبالمخاطَب بوصفه مسخوراً منه، وطبيعة العلاقة بينهما. وهنا تظهر براعة المتنبي الساخر عندما جعل الخفيّ المضمر يتجلّى على هيئة الدعابة التي تخفي حكمَ قيمةٍ مسكوتاً عنه.

ويكثر عند المتنبّي أن يكنّي بكنايةٍ ظاهرها مدحٌ وخفيّها هجاء وذمّ وتهكّم وسخرية، كقوله في مدح كافور أيضاً: [74]

أيَا أسَداً في جِسْمِهِ رُوحُ ضَيغَمٍ وَكَمْ أُسُدٍ أرْوَاحُهُنّ كِلابُ

يلمّح الشاعر من خلال الكناية في الشطر الثاني إلى بلاغٍ مُضمرٍ موازٍ ضدّيٍّ لبلاغِه الصريح، تتجلّى فيه المقولة التداوليّة " إذا كان يتحتّم عليك التسبب في إهانةٍ فيجب على الأقلّ أن تنقل ذلك بطريقة لا تسبب تعارضاً علنيًّا صريحاً مع مبدأ التأدُّب، ولكن بطريقة تمكّن المستمع من أن يصلَ إلى نقطة الإهانة من خلال ملاحظتك بطريقةٍ غير مباشرة،

---

[70]. ***المرجع السابق .***

[71]. **المرجع السابق.**

[72]. **القيروانيّ، ابن رشيق : *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، 1 / 259.**

[73] **البرقوقيّ، عبد الرحمن: *ديوان المتنبي*، 2/ 588.**

[74]. **المصدر السابق ، 1 / 244.**

وذلك بطريقة الإضمار"[75]، وهذا ما جعل الكناية في الشطر الثاني تصدم القارئ وتدفعه للتساؤل عن اضطرار الشاعر إليها بعدما قرّر في الشطر الأول أنّ الممدوحَ أسدٌ في جسمه روحُ ضيغمٍ، فوجب عليه بوصفه عنصراً مشاركاً في الخطاب أن يدرك أنّ للشاعر قصداً لم يرغب في التصريح به، وعليه أن يقرأ إشارات الشاعر النصيّة لتأخذ به إلى عالم المضمر.

والمفارقة كالتعريض تُقرأ ضمن تعالقات السياقين التركيبيّ اللغويّ والحاليّ، وليس بمنطوقها وحده، كما بيّن عبد القاهر، ففي هذا البيت بدأ المتنبّي بما أراد أن يُظهر لكافور من مدحٍ، حين جعله أسداً في جسمه روح ضيغم على سبيل المشابهة، ثمّ انعطف فجأة نحو تأكيد أمرٍ آخر مقابلٍ على وجه التضادّ لما صرّح به، وهو أنّ هناك ملوكاً تحمل أشكالَ الأسود لكنّها تخلو من أرواح الأسود ومعانيها ورمزيّتها، وتحمل أرواح كلابٍ ومعانيها ورمزيّتها، أو"كم من أسدٍ دنيء النفس ساقط الهمّة؟ ... كم من ملكٍ يشبه الأسدَ في قوّة بطشه ولكنّ روحَه روحُ كلبٍ ؟ "[76]؛ مُظهراً، أو مُدّعياً، أنّه أراد ما عداه من الملوك على سبيل الموازنة المفضية إلى مدحه. وقد شكّل بهذا المعنى الظاهر ستاراً يحجبُ به قصده المُضمر الذي لو صرّح به لكان: لن تخدعني صورةُ الأسد عن روح الكلبِ فيك، ما يثير تساؤل المتلقّي المتعاون: لماذا لم يكتفِ الشاعر بالشطر الأوّل مادام صادق الودّ مع الممدوح؟ ليجد هذا القارئ أنّ الانعطاف إلى الكناية في الشطر الثاني هو المنقذ للشاعر ليكونَ صادقاً مع نفسه، فيتبرّأ من قولٍ قاله وهو لا يعتقده. فغدا كاذباً صادقاً في الوقت ذاته. يخفي مراده ،لكنّه يساعد القارئ في كشف المعنى المقنّع في الوقت نفسه.

وبذلك يكون الساخر/ المتكلّم /المتنبّي/ قد جعل من المخاطَب مخاطَبَين اثنين:

الأول: هو المخاطب المباشر بضمير الخطاب أنت، وهو المسخور منه أو المتهكَّم به (كافور) ويمكن أن يُطلَق عليه (المخاطّب الساذج)؛ لأنّه يستقبل الكلام على ظاهره، ولا يدرك مغزاه إلاّ بعد فوات الأوان.

والثاني: هو المتلقّي أو القارئ بوصفه مخاطباً غير مباشر، ويمكن أن يُطلَق عليه تداولياً القارئ المتعاون، أو المتواطئ، مع المتكلم ؛ إذ يقتسمان معاً معارف مشتركة وعلى رأسها الاحتكام إلى السياق، تمكّنه من فكّ شفرة الكناية وإدراك مغزاها التهكّمي الساخر.

فالكناية في الشطر الثاني ما كانت لتعني شيئاً من المفارقة وما يتبعها من مدلولات التهكّم والإهانة لو قرئت معزولةً عن سياقها التخاطبيّ، و مقتطعة من التركيب اللغويّ للبيت كلّه.

إنّ خرق قانون الكيفيّة في الكناية التهكميّة يفسح المجال لخاصيّة التلميح أن تقدّم زاداً ثميناً للمتكلّم وحصنًا متيناً يحتمي به في المواقف المحرجة، أيًّا كان نوع الإحراج: رغبة، أو رهبة، أو ذمًّا، أو تهكّمًا وسخرية...، فتمنحه الجرأة التعبيريّة .

ثانياً . المرجعيّة السياقيّة: (قراءة من خلال المواقف التخاطبيّة)

يقول عبد القاهر: " ألا ترى أنّك لمّا نظرت إلى قولهم: "هو كثيرُ رمادِ القدر"، وعرفتَ منه أنّهم أرادوا أنّه كثير القِرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنّك عرفته بأن رجعت إلى نفسك، فقلت: **إنّه كلامٌ قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد**، فليس إلّا أنّهم أرادوا أن **يَدُلّوا** بكثرة الرماد على أنّه تُنصَبُ له القدور الكثيرة، ويُطبَخُ فيها للقِرى والضيافة، وذلك لأنّه إذا كَثُرَ الطبخُ في القدور كَثُرَ إحراقُ الحطَب تحتها، وإذا كَثُر إحراق الحطب كَثُر الرماد لا

[75]. **ينظر: بلبع، عبد:** ***البلاغة والتواصل.***

[76]. **البرقوقيّ، عبد الرحمن:** ***ديوان المتنبي*****، 1/ 244.**

محالة. وهكذا السبيل في كلّ ما كان " كناية " [77]. ففي فهم كلّ كناية ينبغي استرجاع الملابسات السياقيّة التي أُنجز الكلامُ على أساسها للاستدلال على القصد؛ لأنّ المتكلّم يستحضر صورة جمهوره الفعليّ أو المتخيّل، الذي تكون علاقته به مشروطةً بتوافقٍ ضمنيّ على القيم الرمزيّة والمعتقدات المشتركة، ما يعدّ أمراً مهيّئاً لإنجاح الفعل التأثيريّ.

يرتبط إنتاجُ الكناية وتلقّيها بوصفها سلوكاً لغويًّا ارتباطاً وثيقاً بالسياق البيئيّ والاجتماعيّ والثقافيّ والعرفيّ، وبحال الاستعمال، ما يعني صعوبة الفصل التامّ بين المُعطى اللغويّ الكنائيّ والمعطيات غير اللغويّة المتّصلة به، وصعوبة الفصل بين إنتاج الكناية وتلقّيها؛ إذ يخضع الأمرُ لمسألة العرف البيئيّ الثقافيّ المشترك بين المبدع ومتلقّي الخطاب بوصفه قارئاً ضمنيّاً حاضراً في ذهن المتكلّم. فإذا ما تمّ نقلُ الكنايات القديمة (نؤوم الضحى، كثير الرماد، بيض المطابخ، كثرة الجرذان في البيت) من سياقها الأصل القديم إلى سياقٍ حديث أو معاصر، فإنّها ستفقد دلالتها القديمة وتكتسب دلالة جديدة قد تكون مغايرة للقديمة تماماً. فالكناية الأولى تعبّر حاليّاً عن الكسول الفاشل، والثانية عن قلّة النظافة، والثالثة عن النظافة، والرابعة عن البيت المهجور المهمل.

وهذا ما تهتمّ به الدراسات التداوليّة تحت مفهوم المرجعيّة المعرفيّة في البيئة اللغويّة اهتمامًا جوهريًّا، نظراً لأهمّيتها في تحديد المقاصد وتوجيه الإنجاز اللغويّ، فاجتهد التداوليّون في تحديد أهمّ مكوّنات هذه المرجعيّة، وأشاروا إلى وجوب اشتراك المتكلّم والمتلقّي في مراعاتها، منها [78]:

. الوضع اللغويّ الذي تشير إليه العبارات اللغويّة . ومن بينها التعبير الكنائيّ . المكوّنة للمعجم اللغويّ للبيئة الاجتماعيّة المعيّنة.

. الخلفيّات التاريخيّة والاجتماعيّة والنفسيّة الخاصّة التي لا يدركها إلّا من ينتمي إليها. فالمعرفة بالبيئة العربيّة بوجهيها المادّيّ والمعنويّ، لا تكفي عمليّة الفهم ما لم تكن مدعّمة بالعلم بأحوال الناس وطبائعهم، وكلّ ذلك معطيات تسهم في تكوين المعرفة اللغويّة التي تؤمّن نجاح الخطاب التداوليّ الكنائيّ.

. مناسبات الفعل اللغويّ التي تضبطها السياقات التواصليّة؛ لأنّ معنى الكلام لا يتحقّق إلّا في سياق التعالق الاجتماعيّ، عن طريق محاولة إعادة إنشاء الظرف الذي أنتج الكلام، والملابسات التي تؤثّر فيه.

فالكناية القديمة (فلان كثير الرماد) يستدعي تأويلها استحضار الخلفيّات الثقافية والاجتماعيّة والبيئيّة، في البيئة العربية القديمة، وتقاليدها في الكرم والقِرى، والوسائل الحسيّة الملازمة لكرم الضيافة من مثل إيقاد النار، وطهو الطعام، وإطعامه الضيوف، أضف إلى ذلك مناسبة القول وغرضه؛ إذ من المعروف أنّه يُقال في سياق المدح. أمّا مهمّة المتلقّي فتكون تفتيشاً عن الرسالة المضمرة التي تشي بها الرسالة اللغويّة الظاهرة (كثير الرماد)، على مبدأ التعاون بين المرسل والمتلقّي حول مقاصد القول الخفيّة التي تُعتمد بصورة اتّفاق ضمنيّ بينهما، يلتزم فيه كلّ منهما بمراعاة الموقف التخاطبيّ، فالمتكلّم يبدأ من البنية العميقة (كريم ومضياف)، ثمّ يقوم بإجراء التحوّلات التركيبيّة الأسلوبيّة بناءً على الواقع الملموس أيضاً، فينتقل منها إلى كثرة القصّاد والضيوف، ثمّ إلى كثرة عدد الآكلين، ثمّ إلى كثرة الطبخ، ثمّ إلى كثرة إحراق الحطب، وأخيراً كثير الرماد. أمّا المتلقّي فيبدأ من البنية السطحيّة (كثير الرماد)، ثم يتتبّع استدلالاتها في الواقع الملموس، فينتقل منها إلى كثرة إحراق الحطب، ثمّ إلى كثرة الطبخ، ثمّ إلى كثرة الآكلين، ثمّ كثرة القُصّاد والضيوف، وأخيراً كريم ومضياف .

---

[77]. **الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، 341.**

[78]. **ينظر: بن عيسى، عبد الحليم: *المرجعيّة اللغويّة في النظريّة التداوليّة*، 14 وما بعدها.**

إن هذا المسار عمليّة ذهنية تأويليّة مشتركة بين المتكلّم والمتلقّي المنتميين إلى ذلك السياق الثقافيّ الاجتماعي المشترك، وعلى القارئ في أيّ عصرٍ أو بيئةٍ أن يراعي ذلك الأمر؛ **إذ لو أنّ الرسالة الكنائية (كثير الرماد) استُخدمت في سياقٍ تخاطبيّ معاصر** لأحدثت فجوةً في التلقّي واضطرابًا في التأويل، ومفارقةً في القصد قد تحوّله من المدح إلى الذمّ؛ لأنّ الدلالة الناتجة من هذه الكناية يمكن أن تتغيّر بسبب التغيّر الحضاريّ، فلا تستلزم في الوقت الحاضر الدلالة على الكرم؛ لأنّ العلاقة بين كثرة الرماد والكرم غائبة في الواقع الحسّي وفي سياق التخاطب المعاصر، ولا يعرفها إلّا من استعارها من التراث، أمّا من لم يكن مطّلعًا على التراث فلربّما فهم منها أنّ الموصوف ليس نظيف الدار من باب الذمّ. ومن جهة أخرى لو أردنا تجديد التعبير بالكناية عن الكرم والضيافة في وقتنا الحاضر لوجدنا نماذج مناسبة للموقف التخاطبيّ المعاصر، من قبيل: (فلان يده مفتوحة) أو (باب بيته لا يُغلق)، فبين (كثير الرماد) و(باب بيته لا يُغلق) فرقٌ في التركيب اللغويّ وفي السياق البيئي والزمانيّ، فلم تعد كثرة الرماد من مظاهر الكرم الحاليّة.

وعندما تطرأ مواقف تخاطبيّة جديدة تتجدّد البنية الكنائيّة القديمة للمكنّى عنه نفسه [79]، فلا بدّ حينئذٍ من ضرورة التأويل عن طريق "إرجاع النسق الأدبيّ الفرديّ، أي النصّ، إلى النسق العامّ الذي ينتمي إليه والأنساق الثقافيّة الأخرى غير الأدبيّة التي تسهم في إنتاجه" [80]؛ مثال ذلك قول الشاعر الحديث صلاح عبد الصبور في قصيدة (لحن):[81]

جارتي لستُ أميراً

لا، وَلَسْتُ المضْحِكَ المِمْراحَ في قَصْر الأمير

سأريكِ العَجَبَ المُعْجِبَ في شمْسِ النَّهار

إنَّني خاوٍ ومملوءٌ بقشٍّ وغُبار

أنا لا أمْلِكُ ما يملأ كَفّيَّ طعامَا

وَبِخدَّيْكِ مِنَ النِّعمةِ تفّاحٌ وسُكَّر

نَجِدُ أنَّ التركيب اللغويّ (**أنا لا أمْلِكُ ما يملأ كَفّيَّ طعامَا**)،يقدِّم بنية كنائِيَّةً لا يمكِنُ الوقوع على ناتِجِها النِّهائيِّ إلاّ بمتابعة التحوُّلات التي أجرتها مخيّلة المتلقّي بدءًا من البنية السطحيّة حيثُ انتهى المرسِل/ الشاعر باتجاه البنية العميقة، على النَّحوِ الآتي: [82]

1 . أنا لا أملك ما يملأ كفيّ طعاماً.

2 . إنّني جائع.

3 . أنا لا أملِكُ المالَ لشراء طعامي.

4 . أنا فقير .

"وهذا الناتجُ الأخيرُ يتوافق مع مجموعة التَّقابلات الضِّدِّيَّة المسيْطِرَةِ على مجموعةِ الأسطرِ؛ إذْ يظهر التَّقابلُ حادّاً بين هذا الفقر الَّذي يحتوي الذَّات والسَّطر الأخير يُعْلِنُ عن درجةِ الغنى والرَّفاهيةِ"[83]، فلم يعبّر هذا الشاعر الحديث عن

---

[79]. عبد المطّلب، محمّد: *البلاغة العربيّة قراءة أخرى*، 196.

[80]. حمّودة، عبد العزيز: *المرايا المحدّبة من البنيويّة إلى التفكيك*، عالم المعرفة (232)، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب . الكويت، نيسان 1998م. 243. وينظر 242.

[81]. عبد الصبور، صلاح: *الناس في بلادي* ، القاهرة، دار الشروق، ط7، 1986م، 48.

[82]. ينظر:عبد المطّلب، محمّد: *البلاغة العربيّة قراءة أخرى*، 196.

[83]. المرجع السابق ، 196.

فقره وجوعه الرمزيّين أمام غناها الرمزيّ بكنايةٍ قديمة: (أشكو قلّة الجرذان في بيتي)؛ إذ لم تعد قلّة الجرذان من ملازمات الفقر ومجاوراته وتبعاته، ولم تعد كثرة الجرذان من ملازمات الغنى ومجاوراته؛ بل عبّر بالكناية: **(أنا لا أملِكُ ما يملأ كَفّيَّ طعامًا)** الأنسب في الواقع المعاصر للتعبير عن الفقر والجوع والعوَز، ولم يعبّر بالمقابل الضدّي عن ترفها بالكناية القديمة (نؤوم الضحى)؛ بل عبّر عنه بالكناية الجديدة : **(بخدّيكِ تفاحٌ وسكّر)** الأنسب للفهم المعاصر عن الغنى والرفاهية والكفاية، حتّى لا يجد نفسه أمام مظهرٍ من مظاهر سوء التفاهم المنضوية تداوليًّا تحت اسم "التواصل السيّء"، المتسبّب من ضعف في "الافتراضات المسبقة"، التي تعدّ أساسًا ضروريًّا لنجاح كلّ تواصل كلاميّ، وتعدّ معطيات سياق التخاطب والبنى التركيبيّة العامّة من الافتراضات المسبقة المعترَف بها والمتّفق عليها بين شركاء التواصل اللغويّ، وتشكّل خلفيّةً تواصليّة ضروريّة لإنجاح عمليّة التواصل [84].

إنّ أهمّ ما يميز الكنايةَ خاصيّةُ **الثنائيّة الدلاليّة**، التي تعني التلازم بين الدلالة الحرفيّة والدلالة التبعيّة؛ إذ إنّ المعنيين الصريح والمؤوَّل . أو الحرفيّ والتبعيّ . صحيحان يتبع أحدهما الآخر ويلازمه، بخلاف ما نجد في أنواع التصوير المجازيّ الأخرى كالاستعارة التي تقوم على تعارضٍ واضح بين المعنيين: الأوّل الصريح غير المنطقي، والثاني المؤوّل المنطقي. وعلى الرغم من ذلك، فإنّ هذا لا يعني أنّ المقاصد تستوطن المعنى الأوّل في الكناية؛ بل تستقرّ في رحاب تابعِه المعنى الثاني المُضمر.

وقد يلمس القارئ أنّ هذا البحث لم يخلُ من بيان هذه المسألة في تضاعيف الصفحات السابقة؛ لأنّها أساس من أسس التداوليّة، ومن أسس الكناية؛ غير أنّه من الإنصاف المنهجيّ العلميّ الضروريّ لإحكام مقاربة الكناية تداوليّاً أن نذكّر بذلك.

خاتمة

لعلَّ أهمَّ ما توصّلت إليه هذه الدراسة من نتائج إثباتُها الفرضيّة التي انطلقت منها، التي تقول: إنّ فنّ الكناية في التراث البلاغيّ يمكن أن يُقرأ تداوليّاً. فوجدت أنّ البلاغيين القدماء قد أغنوا هذا الجانب، وبيّنوا أنّ الدلالةَ الكنائيّة دلالةٌ مراوغة، تحتاج إلى مجموعةٍ من حِيَلٍ قرائيّة، تستنطق صوامتها وتفكُّ شِفراتها، وتملأ فجواتها، عن طريق قراءة المعنى الذي بين السطور، ووجّهوا **القارئ** إلى ضرورة أن يعيَ أنّ الكنايةَ فعلٌ لغويّ شديد الإيجاز والتكثيف، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأنساق الموازية لإنتاجها، وعلى رأسها البيئات الاجتماعيّة والثقافيّة والنفسيّة بوصفها إحاليّات، أو مرجعيّات مُسهمة في تشكيل الكناية وفي فهمها في آن، وتؤدّي إلى استمرار العمليّة التواصليّة بين المنتج والمتلقّي المشارك في إنتاج الدلالة تأويليّاً؛ فتحقّق الأغراض التواصليّة الإبلاغيّة، وتُحدث الفعل التأثيريّ الذي يغيّر حال متلقّيه ويمثّل ردّ فعله، من خلال تأويلها في سياقها التخاطبيّ الخاصّ نصّاً وزماناً ومكاناً، على ما يُضمَر لا على ما يَظهر.

[84]. صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب*، 30 .32.

المصادر والمراجع:

Sources and references:

1. ابن جنّي: *الخصائص*، تحقيق محمّد علي النجّار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2.

1. Ibn Jinni: *The Characteristics*, investigated by Muhammad Ali Al-Najjar, Dar Al-Huda for Printing and Publishing, Beirut, 2nd edition.

2. ابن منظور: *لسان العرب*، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشاذلي، ط3، دار المعارف.

2. IbnManzoor: *Lisan Al-Arab*, investigated by Abdullah Ali Al-Kabeer, Muhammad Ahmad Hassaballah, Hashem Muhammad Al-Shazly, 3rd edition, Dar Al-Maaref.

3. أحمد، واضح: *الخطاب التداوليّ في الموروث البلاغيّ من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريّ*، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. لزعر مختار، الجزائر، جامعة وهران، كليّة الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربيّة وآدابها، السنة الجامعيّة 1011.2012م.

3. Ahmad, Wahid: *The Deliberative Discourse in the Rhetorical Inheritance from the Third Century to the Seventh Century A.H.*, Ph.D. Thesis, Supervised by: Prof. Dr.LazaarMokhtar, Algeria, University of Oran, Faculty of Arts, Languages and Arts, Department of Arabic Language and Literature, academic year 1011-2012.

4. امرؤ القيس: *ديوان امرئ القيس*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، دار المعارف، 1990م.

4. Imru' al-Qays: *Diwan of Imru' al-Qays*, investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 5th edition, Dar al-Maaref, 1990 AD.

5. براون، جيليان. يول، جورج: *تحليل الخطاب*، ترجمة محمّد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة السعوديّة، 1997م.

5. Brown, Jillian. Yule, George: *Discourse Analysis*, translated by Muhammad Lutfi Al-Zulaiti and Munir Al-Triki, King Saud University, Saudi Arabia, 1997.

6. البرقوقيّ، عبد الرحمن: *ديوان المتنبّي*، حقّق النصوصَ وهذَّبَها وعَلَّقَ حَواشيَها وقَدَّمَ لها د.عُمر فاروق الطبَّاع، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، 1983م.

6. Al-Barqouqi, Abdul Rahman: *Al-Mutanabbi'sDiwan*, Edited, edited and commented the texts and presented them by Dr. Omar Farouk Al-Tabbaa, Dar Al-Arqam for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1983 AD.

7. البغداديّ، عبد القادر بن عمر: *خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب*، تحقيق وشرح محمّد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1996م.

7. Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar: *The Treasury of Literature and the Pulp of Lisan Al Arab*, Edited and Explained by Muhammad Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1996 AD.

8. بلانشيه، فيليب: *التداوليّة من أوستن إلى غوفمان*، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجمايعي، منشورات عالم الكتب الحديث، ط1، 2012م.

8. Blanchett, Philip: *Pragmatics from Austin to Goffman*, ArabizedbySaber Al-Habasha and Abdul Razzaq Al-Jamaei, Modern Book World Publications, 1, 2012 AD.

9. بلبع، عيد: *البلاغة والتواصل*، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالميّة، نُشر بتاريخ 29/2/ 2016م.

9. Balbaa, Eid: *Rhetoric and Communication*, Arabic Language Academy Forum on the World Wide Web, published on February 29, 2016.

10. بليت، هنريش: *البلاغة والأسلوبيّة نحو نموذج سيميائيّ لتحليل النصّ*، ترجمة محمّد العمري، أفريقيا الشرق، 1999م.

10. Plat, Heinrich: *Rhetoric and Stylistics Towards a Semiotic Model for Text Analysis*, translated by Muhammad Al-Omari, East Africa, 1999 AD.

11. بن جعفر، قدامة: *نقد الشعر*، تحقيق وتعليق د. محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

11. Bin Jaafar, Qudamah: *Criticism of Poetry*, investigated and commented by Dr. Muhammad Abdel-MoneimKhafagy, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut.

12. بن عيسى، عبد الحليم: *المرجعيّة اللغويّة في النظريّة التداوليّة*، مجلّة دراسات أدبيّة، دوريّة فصليّة محكّمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليميّة، الجزائر، ع1، ماي 2008م.

12.BenEissa, Abdel Halim: *The Linguistic Reference in Pragmatic Theory*, Journal of Literary Studies, a quarterly evaluted periodical issued by the Al Baseera Center for Researches, Consultations and Educational Services, Algeria, Volume 1, May 2008.

13. بن عيسى، عبد الحليم: *مصطلح التداوليّة في الدراسات العربيّة المعاصرة بين التلقّي والتأسيس . قراءة تحليليّة نقديّة*، جامعة أحمد بن بلّه، وهران، الجزائر، الأكاديميّة للدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، ع20، جوان 2018م.

13.Benaissa, Abdel Halim: *The Pragmatic Term in Contemporary Arab Studies between Reception and Initiation - An Analytical Critical Reading*, Ahmed Ben Bella University, Oran, Algeria, Academy of Social and Human Studies, vol. 20, June 2018.

14. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط5، 1985م.

14. Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr: *Al-Bayan wa Al-Tabeen*, investigated by Abdel Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 5th edition, 1985 AD.

15. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: *الحيوان*، بتحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، ط1943،1م.

15. Al-Jahiz, Abu Othman AmrIbn Bahr: *The Animal*, Edited and Explained by Abd al-Salam Muhammad Harun, Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Library, 1943 AD.

16. الجرجانيّ، عبد القاهر: *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدّة، ط3، 1992م.

16.Al-Jurjani, Abdel-Qaher: *Evidence of Miracles*, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo, Al-Madani House, Jeddah, 3rd Edition, 1992 AD.

17. الجرجانيّ، عليّ بن محمّد بن علي: *التعريفات*، حققّه وقدّم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، دار الريّان للتراث، 1403هـ.

17.Al-Jarjani, Ali bin Muhammad bin Ali: *Al Taarefat*, verified and presented it's indexes by: Ibrahim Al-Abyari, Dar Al-Rayyan Heritage, 1403 AH.

18. حسّان، تمّام: *المصطلح البلاغيّ القديم في ضوء البلاغة الحديثة*، مجلّة فصول، مج 7، ع 4،3، أبريل، سبتمبر، 1987م.(قضايا المصطلح الأدبيّ).

18. Hassan, Tammam: *The Old Rhetorical Term in the Light of Modern Rhetoric*, Fosoul Magazine, Volume 7, v. 3-4, April, September, 1987 AD. (Literary Term Issues).

19. حسني، نور الهدى. لهويمل، باديس: *مداخل اللسانيات التداوليّة في الخطاب البلاغيّ العربيّ، متابعة تداوليّة*، جامعة بسكرة، مجلّة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب،ع2، 2017م.

19.Hosni, Nour Al-Huda. Lahoumel, Badis: *Pragmatic Linguistics Entrances into the Arabic Rhetorical Discourse*, Pragmatic Follow-up, University of Biskra, El Omda Journal of Linguistics and Discourse Analysis, Vol. 2, 2017.

20. حمام، بلقاسم: *الكناية هروب من اللغة هروب من الذات هروب من الآخر*، مقال في مجلّة الأثر، مجلّة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع5،مارس 2006م.

20 .Hammam, Belkacem: *The metonymy is an escape from language, an escape from the self, an escape from the other*, an article in the Athar magazine, the Journal of Arts and Languages, KasdiMerbah University, Ouargla, Algeria, v. 5, March 2006.

21. حمّودة، عبد العزيز: *المرايا المُحَدَّبة من البنيويّة إلى التفكيك*، عالم المعرفة (232)، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب . الكويت، نيسان 1998م.

21.Hammouda, Abdel Aziz: *Convex Mirrors from Structuralism to Deconstruction*, The World of Knowledge (232), a monthly cultural book series issued by the National Council for Culture, Arts and Letters - Kuwait, April 1998.

22. السكاكي، أبو يعقوب: *مفتاح العلوم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2000م.

22.Al-Sakaki, Abu Yaqoub: *Miftah Al-Uloom*, Investigated by Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 2000 AD.

23. صحراوي، مسعود: *التداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التراث اللسانيّ العربيّ*، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.

23.Sahrawi, Massoud: *Pragmatics among Arab Scholars: A Pragmatic Study of the Phenomenon of "Speech Verbs" in the Arab Linguistic Heritage*, Dar Al-Tali'a, Beirut, 1, 2005 AD.

24. عبد الصبور، صلاح: *الناس في بلادي*، القاهرة، دار الشروق، ط7، 1986م.

24. Abdel-Sabour, Salah: *People in My Country*, Cairo, Dar Al-Shorouk, 7th edition, 1986 AD.

25. عبد المطّلب، محمّد: *البلاغة العربيّة قراءة أخرى*، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونجمان، ط1، 1997م.

25.Abdel Muttalib, Muhammad: *The Arabic Rhetoric Another Reading*, The Egyptian International Publishing Company, Longman, vol.1, 1997 AD.

26. عمر بن أبي ربيعة: ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق د. محمّد عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف، المكتبة الأزهريّة، 1995م.

26.Omar IbnAbiRabia: *Diwan of Omar IbnAbiRabia*, Investigated by Muhammad Abdel Moneim Khfagy. Abdel Azez sharaf, Publisher, Al-Azhar Colleges Library. 1995 AD.

27. العمري، محمّد: *البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول*، أفريقيا الشرق، ط2، 2012م.

27.Al-Omari, Muhammad: *The New Rhetoric between Imagination and Deliberation*, East Africa, 2nd Edition, 2012 AD.

28. عيّاشي، منذر: *البلاغة العربيّة إعادة نظر في النشأة والتطوّر*، مجلّة علامات في النقد، ع 78، ربيع الآخر1435هـ . فبراير 2014م .

28.Ayachi, Munther: *The Arabic Rhetoric: A Reconsideration of Theory of Evolution*, Signs in Criticism Journal, p. 78, Rabi' al-Akhir 1435 AH - February 2014.

29. عيّاشي، منذر: *مقالات في الأسلوبيّة*، منشورات اتّحاد الكتاّب العرب، دمشق، 1990م.

29.Ayachi, Munther: *Articles on Stylistics*, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1990 AD.

30. فاخوري، عادل: *الاقتضاء التداوليّ اللسانيّ*، مجلّة عالم الفكر، مج 20، ع3، اكتوبر. نوفمبر. ديسمبر، 1989م.

30.Fakhoury, Adel: *The Pragmatic Linguistic Implication*, Alam Al-Fikr Magazine, Vol. 20, No.3, October-November-December, 1989.

31. فضل، صلاح: *بلاغة الخطاب وعلم النصّ*، دار المعرفة، مؤسّسة مختار للنشر وتوزيع الكتب، ط1، 1994م.

31.Fadl, Salah: *The eloquence of discourse and the science of the text*, Dar al-Marefa, Mukhtar Institute for Publishing and Book Distribution, 1, 1994 AD.

32. القزوينيّ، الخطيب: *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمّد عبد المنعم خفاجي، ط2، الناشر مكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة.

32.Al-Qazwini, Al-Khatib: *Clarification in the Sciences of Rhetoric*, Explanation, Commentary and Revision by Muhammad Abdel-MoneimKhafagy, 2nd Edition, Publisher, Al-Azhar Colleges Library, Cairo.

33. القيروانيّ، ابن رشيق: *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*، حقّقه وعلّق حواشيه: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ط1، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع، 2006م.

33.Al-Qayrawani, IbnRashiq: *Al-Umdain Beauties of Poetry, Etiquette and Criticism*, Edited and Commented: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, 1st Edition, Cairo, Dar Al-Tala'ea for Publishing and Distribution, 2006 AD.